

مريض الوهم

موليير



علي مولا

نعريب : أنطوان مشاطي

www.alexandra.ahlamontada.com منتدى مكتبة الاسكندرية



# مَرِيضُ الْوَهْمِ

تَقْرِيبُ :  
أُنيسَ عَزِيزِ الْحَدَّادِ

## أشخاص المسرحية

أرغان	: مريض الوهم.
يلين	: زوجة ثانية لأرغان.
أنجليك	: بنت أرغان حبيبة كليانت.
لويزون	: صغيرة أرغان شقيقة أنجليك.
بيرالد	: شقيق أرغان.
كليانت	: حبيب أنجليك.
ديافواريوس	: طبيب.
توماس ديافوارايوس	: إبنه، عاشق أنجليك.
بورغون	: طبيب أرغان.
فلوران	: صيدلي.
بنقوا	: الكاتب العدل.
توانيت	: جارية.

## الفصل الأول

### المشهد الأول

أرغان ( قاعداً وحده في الردهة أمامه طاولة وهو يعدّ نبذات أجزائية برقع مرقمة مخاطباً نفسه بهذا الحديث ):

أرغان : ثلاثة وإثنتان، خمسة؛ وخمسة، عشرة؛ وعشرة، عشرون. ثلاثة وإثنتان، خمسة؛ صُولُ « فما فوق الرابع والعشرين، حقنة يسيرة ميسرة مُلينة مُرطبة منعشة بطن السيد ». ما يروقني في بنود السيد فلوران الصيدلي أنها نبذات رقيقة الحاشية جداً. « أحشاء السيد بثلاثين قرشاً »، أجل أيها السيد فلوران ما كلّها حكاية دمائه بل تعقل لا سلخ للمرضى. « غسولُ بثلاثين ! جُعِلت لك خادماً لقد أفدتك عنها، إنك لم تُقيِّدها عليّ بنبذاتٍ أخرى إلا بعشرين. وما العشرون سوى لغة بالصّيدلة لعشرة قروش، هاكها العشرة. « علاوة على اليوم المذكور، حقنة مضبوطة مطهرة مزيج تركيبة مثناة قوامها غسلُ الورد من لاوند وسواه بموجب الوصفة إيّاها لكُنس وشطف وتنظيف معدة السيد بثلاثين صُولاً. عن إذنك بعشرة. « وعند المساء، علاوة على اليوم الآنف، الذكر، تنفة مهدئ ومزيج منوم لاغفائة السيد ». خمسة وثلاثون صُولاً، ما لا اعتراض عليه، لأنّه يغفيني حسناً. عشرة، خمسة عشر، ستة عشر، سبعة عشر صُولاً وستة أذنية. « وما فوق الخامس والعشرين عشبة طيبة غسولُ مُقوّ مزيجاً من طازج القرفة والخردل المشرقيّ وسواه بمقتضى وصفة الوصاف السيد بورغون لطرده ما في مرارة السيد وتفريغها، أربع ليرات ». يا

لها من سخافة أيها السيد فلوران، عليك بالمرضى لمعاشرتهم، إنما السيد بورغون لم يضرب على يدك لتسجيل الفرنكات الأربعة. سجلها، سجل ثلاث ليرات من فضلك. عشرون، وثلاثون صُولاً. « وعلاوة على اليوم الآنف الذكر مقدار من مسكن الوجع وعقول لإراحة السيد، ثلاثون صُولاً ». حسناً ... عشرة صُولٍ وخمسة عشر. « علاوة على السادس والعشرين، حُقنة للتفريج عنه لطرد رياح السيد ثلاثون صُولاً ». عشر صُولٍ أيها السيد فلوران. « علاوة على السابع والعشرين، علاج لتسريع الخروج وطلق الأخلاط الفاسدة خارجاً من السيد. ثلاث ليرات ». حسناً عشرون صُولاً وثلاثون حسبي أنك متعقل. « وما فوق الثامن والعشرين جرعة من مُصالة مصفاة محللة لتلطيف وتلين دم السيد لتعديله وإنعاشه عشرون صُولاً، حسناً، عشرة صُولٍ « علاوة عليها مقدار من مركب رقيق مانع من إثنتي عشرة حبة لمصل الترياق بشراب الليمون والرمان وغيرها بمقتضى الوصفة، خمس ليرات ». رويديك أيها السيد فلوران، من فضلك، إن بقيت على هذا المنوال لن يعود أحد يستسلم لمرض من بعد. تكفيك الفرنكات الأربعة. عشرون وأربعون صُولاً. ثلاثة وإثنان، خمسة؛ وخمسة، عشرة؛ وعشرة عشرون؛ ثلاث وستون ليرة؛ أربعة صُول وست أدنية. بالتمام والكمال للشهر الجاري، علاج واحد وإثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية علاجات عولجتها. ثم غسلة واحدة وإثنان، ثلاث، أربع، خمس، ست، سبع، ثمان تسع عشرة؛ إحدى عشرة وثننا عشرة شطفة وفي المنصرم إثننا عشر علاجاً وعشرين شطفة لا عجب إن كنت أردأ حالاً في هذا الشهر مما كنت عليه في ذاك لأفأتحن به السيد بورغون ليتدبر الأمر. هلموا فارفعوا لي هذا كله. لا أحد في الدار؟ عبثاً أوصيهم، إنهم يتركونني وحدي. وما من وسيلة لضبطهم ههنا.

( يقرع ناقوساً لينادي قومه ).

أرغان : إنهم أبداً لا يسمعون، وناقوسي لا يثير طنطنة كافية.

( درلن درلن درلن ).

لا فائدة.

( درلن درلن درلن ).

بهم الصَّمم ... توانيت

( درلن درلن درلن ) .

هَذَا وَكَأَنِّي مَا قَرَعْتُ أَبْداً. الكلبة الخرقاء.

( درلن درلن درلن ) .

صِرْتُ كَلْبِيّاً.

( يَكْفَ عَنْ قَرَعِ الْجَرَسِ فَيَأْخُذُ بِنَادِي : )

( درلن درلن درلن ) ، أَتَيْتُهَا الْحَقِيرَةَ ، صَحْبَتُكَ الْآبَالِسَةُ أَيْجُوزُ أَنْ يُتْرَكَ الْعَلِيلُ الْمَسْكِينُ هَكَذَا وَحِيداً . ( درلن درلن درلن ) يَا إِلَهِي إِنَّهُمْ تَخَلَّوْا عَنِّي لِأَفْطَسْ هَهُنَا ( درلن درلن درلن ) .

## المشهد الثاني

### توانيت وأرغان

توماس ديافواربوس ( داخلاً إلى الرّدهة ) : لَبَّيْكَ ، أَمْثُلُ بَيْنَ يَدَيْكَ .

أرغان : يَا لَكَ مِنْ كَلْبَةٍ ! تَبّاً لَكَ مِنْ لَثِيمَةٍ .

توماس ديافواربوس ( متظاهراً بتلقّيه لطمّة في رأسه ) : تَبّاً لِنَفَاذِ صَبْرِكَ ، لَا تَنْفَكْ لِحُجُوجاً بِالنَّاسِ حَتَّى وَجَدْتُني أَلْطَمَ رَأْسِي أَيْمًا لَطْمَةً بِزَاوِيَةِ الْمَصْرَاعِ .

أرغان ( مستشيطاً غضباً ) : يَا لَكَ مِنْ خَائِنَةٍ !..

توانيت : ( لَا تَنْفَكْ عَنِ التَّأَوُّهِ مُقَاطَعَةً لِإِيَّاهُ ، لِئَلَّا يَتِمَادَى بِالصَّرَاحِ ) : أَوْهَ !

أرغان : ... صَارَ لَكَ ...

أَوْهَ !

أرغان : سَاعَةٌ ...

توانيت : أَوْهَ !

أرغان : فَارَقْتَنِي ...

توانيت : أَوْهَ !

أرغان : صَهْ يَا فَاجِرَةٌ كَيْمَا أُنَازِعُكَ .

توانيت : صحيح، لحاك الله، أسايرك بعدما آذيتُ نفسي !  
أرغان : حنجرتي جرحتها يا دنئية.  
توانيت : رأسي خدشته، هذا ما فعلت بي، وهذه بتلك كما آرتأت.   
أرغان : ماذا يا دنئية ...  
توانيت : عتفني لأبكي ...  
أرغان : تغادريني يا خائنة !...  
توانيت ( لمقاطعة أبدأ ) : أوه !  
أرغان : أنت تنوين، يا كلبة ...  
توانيت : أوه !  
أرغان : ماذا ! ألا يُتاح لي أن أُفرّج عني بالشجار معها !  
توانيت : شاجرني ما طاب لك، فبودّي أن تتنازع.  
أرغان : تمنعيني عنه يا كلبة بمقاطعتك إياي كلما نويت عليه.  
توانيت : إن رمّت شجاراً رمّت عويلاً ولكل ما يحلو له فلا بأس عليه.  
أرغان : هيا ينبغي أن تستغني عنه، إنزعي لي إياه يا دنئية إنزعيه ( ينهض من مقعده ) أما أُجريت بالحقنة اليوم ؟  
توانيت : الحقنة ؟  
أرغان : أجل، أمنا رشحت مرارتي بالصّفراء قدراً وافياً ؟  
توانيت : حسبي أني لا أحشر نفسي في مثل هذه الأمور وما على السيّد فلوران إلّا أن يدسّ أنفه هو حيث يستجدي له نفعاً.  
أرغان : لينصرفوا إلى تجهيز السامط الثاني لي لأزاوله بعد حين.  
توانيت : بطيبة خاطر يتعهّد السيّدان فلوران وبورغون جسمك ويتخذان منك بكرة حلوباً ولسوف أسألُهما أنا ما هي علّتك لما يجهّزان به حضرتك من عقاقير هائلة !  
أرغان : إخرسي أيتها الحمقاء، لا شأن لك بالوصفات الطّبية لتراقبها. عليّ بابنتي أنجليك عندي لها ما أقوله.  
توانيت : ها هي آتية بنفسها — لقد حزرت ما يدور بخلدك.



## المشهد الثالث

أنجليك، توانيت، أرغان.

أرغان : هلمّي أنجليك، جئت في الآوان المناسب وكنتُ ألتبس محادثتك.  
أنجليك : جاهزة لسماعك.  
أرغان ( يهرول الى الطّست ) : مهلاً، هاتي لي عصايّ عسايّ أرجع حالاً.  
توانيت ( ساخرةً منه ) : أسرع سيّدي تيسّر فلوران يخلف لنا من الحوادث حوادث.

## المشهد الرابع

أنجليك، توانيت

أنجليك ( بنظرة خفيضة تسرّ إليها بطرف خفي ) : توانيت !  
توانيت : ماذا ؟  
أنجليك : تفرّسي فيّ قليلاً.  
توانيت : حسناً تفرّست.  
أنجليك : توانيت !  
توانيت : حسناً ماذا « توانيت » ؟  
أنجليك : أنجليك أما حزرتَ قطُّ من أقصد بكلامي !  
توانيت : أخشاه فيما حزرت؛ فتانا العاشق فحوله تدور أحداثنا برمتها في الأيام الستة. ولست على ما يرام إن لم تعنيه في كلّ ساعة !  
أنجليك : طالما عرفت ذلك فما بالك لا تكونين الأولى بمفاتحتي به، ولم لا توفّري عليّ عنا زجّك في الموضوع ؟  
توانيت : أنت لا تمهّليني مهلة، ثمّ إنك تديرين بالك للأمر بحيث يصعب استدراكها عليك.

أنجليك : أقر لك أنني لا أفرّ عن التحدث إليك عنه ... وبكلّ حميّة يغتنم  
فؤادي كلّ سانحة لمفاتحتك به. ألا بحقّك هل تؤاخذيني يا توانيت،  
لمشاعري نحوه.

توانيت : لا شأن لي ...

أنجليك : أمذنبّة أنا بانقيادي لهذه التأثيرات العذبة ؟

توانيت : لا شأن لي لادعائه.

أنجليك : أو تريدني أن أتجاهل نعشات الهوى المضطرم الذي يبثني إياه ؟

توانيت : معاذ الله !

أنجليك : رويدك، بحقّك، ألا تُلفين مثلي شيئاً سماوياً، بل شيئاً قدرياً في  
مغامرةٍ قاهرةٍ تسوقنا صاغرين إلى التعارف بيننا ؟

توانيت : بلى !

أنجليك : ألا تُلفين بادرته، لاعتناقه المدافعة عني، بادرة رجلٍ شهمٍ نبيلٍ  
وهو لا يعرفني أو يكاد ؟

توانيت : بلى !

أنجليك : وأن لا مروءة لأحد كمروءته ؟

توانيت : بالتمام.

أنجليك : وأنه إنما يؤدّيها بأظرف أساليب الدنيا ؟

توانيت : بلى، نعم، ( أجل، بجل ).

أنجليك : ألا تُلفين، يا توانيت، أنه كامل الأوصاف شخصياً ؟

توانيت : بكلّ تأكيد.

أنجليك : وأن أبهى ما في الدنيا بهاء طلعتة ؟

توانيت : بلا ريب.

أنجليك : وأنّ على كلماته ولفحاته مسحة النّبل ؟

توانيت : هذا أكيد.

أنجليك : وأنه لا ينمو إلى المسامع إطلاقاً ما هو أشدّ رقّة ممّا يُلقيه على  
مسمعي.

توانيت : هذا صحيح.

أنجليك : وأنت لا أمض من كبت يطبقونه عليّ ممّا يسدّ كلّ تحرّقٍ للواعجِ  
هوئى عذبة بها ألهمتنا السماء ؟

توانيت : الحقّ معلّك.

أنجليك : عزيزتي توانيت المسكينة، أو تخالين أنّه يعشقني بقدر ما يصرّح لي  
به ؟

توانيت : زه، زه هي أمورٌ عرضةٌ للحسبان فعُبات العشق تنم عن واقع الحال  
فقد صادفت في هذا الشأن مُقلّدين كباراً.

أنجليك : إيه يا توانيت، بم تتفوّهين ؟ واحسرتاه ! أمن أسلوبه سرّاً، يمكن ألاّ  
يصدّقني جهراً ؟

توانيت : على كلّ حالٍ، قريباً تتوضّح كل الأمور، وعمّا سطره لك من عزمٍ  
على إرساله طلبه للزّواج منك؛ برهانٍ ساطعٍ تستشفيّن منه إن قال صدقاً أو  
العكس.

أنجليك : آه يا توانيت ! إن خدعني هذا فلن أصدّق أمراً، مدى الحياة.

توانيت : هوذا أبوك وقد عاد أدراجه.

## المشهد الخامس

أرغان، أنجليك، توانيت

أرغان (مستوياً في مقعده) : إليك يا أبتني، أودّ أن أزفّ البُشرى من حيث لا  
تتوقعين. إنهم يطلبونك للزّواج، ما هذا ؟ أو تضحكين ؟ أجل إنّها لفكاهة  
كلمة الزّواج هذه. فلي أفكّه منها لدى الأوانس آه طبعاً طبعاً ! وعلى ما أراه يا  
أبتني ما لي سوى أن أسألك إن كنت حقّاً ترغبين فيه.

أنجليك : ينبغي لي، يا أبي، أن أرضخ لكل ما يرضيك إجباري عليه !  
أرغان : ترضى نفسي عن أبتةٍ هكذا رضيةٍ مطوعة. فضي الأمر فقد وعدتهم  
بك.

أنجليك : ينبغي لي أن أطيع كل أوامرك يا أبي، طاعة عمياء.

أرغان : كانت زوجتي، خالتك، تريدك راهبةً أنت، وشقيقتك الصغرى لوزير، وهي لا تألو جهداً في تحقيق مآربها.

أنجليك ( بصوت خافت ) : لها حجتها تلك البهيمة الغاشمة.

أرغان : لم تكن لتوافق على هذا القران لو لم أفرحها فأعطيت كلمتي.

أنجليك : إيه يا والدي كم إني ممتنة لكل أفضالك علي.

توانيت : أفرح حقاً بعميم فضلك هذا، إنه أجل مآتيك على مدى عمرك.

أرغان : أنا، ما عانيت الرجل بعد، إنما سأرضى عنه كما قيل لي، وأنت سترضين به.

توانيت : بالتأكيد يا والدي.

أرغان : كيف ؟ وهل عاينته أنت ؟

أنجليك : ها أنت بالموافقة عليه، تفسح لي المجال لأفض قلبي. فلا أتردد بالإفصاح عن أن القدر قد عرفنا ببعضنا منذ ستة أيام، وإن طلباً يعرضونه عليك إنما يبرره استلطاف تبادلته منذ الوهلة الأولى.

أرغان : أنا راضٍ عنه، رغم أنهم لم ييوحوا لي بشيء، منه، فمن الأفضل أن تجري الأمور على هذا المنوال، قيل، إنه فتى طوال، وهو طلق المحيا !

أنجليك : نعم، يا أبي.

أرغان : مديد القامة.

أنجليك : بالتأكيد.

أرغان : طيب الشخصية.

أنجليك : بلا ريب.

أرغان : طيب النية.

أنجليك : طيب جداً.

أرغان : فطن، شريف المحدث.

أنجليك : تماماً.

أرغان : إنه بغاية الشرف.

أنجليك : أشرف كل البرايا.

أرغان : يتكلم اللاتينية واليونانية بطلاقة .

أنجليك : هذا ما فاتني عنه.  
 أرغان : وسيتخرج طبعاً بعد ثلاثة أيام.  
 أنجليك : هو يا أبي ؟  
 أرغان : نعم، أما أسرّ به إليك ؟  
 أنجليك : كلا، حقاً، وأنت من أطلعك عليه ؟  
 أرغان : السيد بورغون.  
 أنجليك : وهل السيد بورغون يعرفه ؟  
 أرغان : يا له من سؤال، هو الذي يعرفه، إنه ابن شقيقه !  
 أنجليك : كليانت ابن شقيق بورغون ؟  
 أرغان : ما شأن كليانت به، إنّا نحن بصدد من طلبوك للزواج منه !  
 أنجليك : أي، نعم.  
 أرغان : أي، حسناً، ابن شقيق السيد بورغون، ابن صهره النطاسي  
 ديافواريس، أسم هذا الابن توماس ديافواريس وليس كليانت، هذا الزواج  
 أبرمناه صباحاً، السيدان : بورغون وفلوران وأنا. وغداً يسوق هذا الصهر أبوه  
 إليّ؛ ماذا؟ ما بالك منغصة ؟  
 أنجليك : ما بالي ؟ أتبين من حديثك أنك يا أبي تناولت شخصاً وأنا أروم  
 غيره.  
 توانيت : ماذا سيدي، أتهرّج هذا الهرج وأنت ما عليه من الغنى لتنوي على  
 زفّ بنتك إلى طبيب ؟  
 أرغان : أجل، وما شأنك يا سافلة، وأنت ما عليه من الوقاحة ؟  
 توانيت : ربّاه، مهلاً. إنك أوّل ما تعمد إلى قواذع الكلام ألا تطبيق الرويّة  
 لتتجاذب أطراف الحديث بدم بارد وبلا خصام بيننا، فما الدّاعي، من  
 فضلك، لمثل هذا الزّفاف ؟  
 أرغان : عذري أنّي رجل عاجز مريض وفي حالتي ألتمس أن أوفّق إلى صهر  
 وإلى صُحبة أطباء يمدّونني بالإسعافات النّاجعة على علّتي ليتوفّر في أسرّي  
 مصادر عقاقير أنا بأمر الحاجة إليها وتضحي الاستشارات والوصفات على  
 متناول يدي.

توانيت : حسناً هذا من باب الاستعذار؛ وما يثلج الصدر تجاوب رقيق فيما بيننا. إنما ضَع يدك سيدي على ضميرك، أحقاً أنت عليل ؟

أرغان : كيف، يا حقيرة، لست عليلًا، بلى أنا مريض، يا وقحة.

توانيت : أوه ، سيدي حسناً، ما أنت إلا مُبْتَيّ ولا مرآة في ذلك نعم، أجل ... ها إنك تحت وطأة من المرض ولا أدهى، أنا معك، أكثر ممّا تتصوّر، هذا هو الواقع يحقّ لابنتك أن تتخذ لها زوجاً، وبما أنّها لا تشكو أدنى علة فلا حاجة إذن إلى إعطائها طبيباً.

أرغان : إنّما أهبها هذا النّطاسي من أجلي وعلى الابنة الأصيلة أن تطرب لاقترانها بمن هو نافع لصحة الوالد.

توانيت : عندي، لو رُمّت سيدي، نصيحة : من صديقة نصوحة.

أرغان : وما هي هذه النصيحة ؟

توانيت : أن تعزف بتاتاً عن هذا الزفاف.

أرغان : وما الدّاعي ؟

توانيت : هو أن آبتك لا تطيقه أبداً.

أرغان : لا تطيقه مطلقاً ؟

توانيت : أبداً بتاتاً.

أرغان : إبتني ؟

توانيت : إبتك بعينها، ستبادرك بأنّه : « لا شأن لها مع السيّد ديافواربوس ولا مع ابنه توماس ديافواربوس ولا مع أيّ ديافواربوس في العالم ».

أرغان : أنا صاحب الشّأن معه، بغضّ النّظر عن أنّه نصيب لها أصلح ممّا يظنون، فليس هناك لديافواربوس من ولد غيره، ولا وريث سواه، وعلاوة على ذلك فإنّ السيّد بورغون، وهو دونما زوج أو عقيب، رصد له كلّ غناه في سبيل هذا الزّفاف. ما عدا ثمانية آلاف ليرة دخلاً سنوياً.

توانيت : لا بدّ أنّه أزهق أنفساً كثيرة ليصبح هكذا غنياً.

أرغان : ثمانية آلاف ليرة هي فائدة لا يُستهان بها ناهيك عن ثروة الأب.

توانيت : طبق المرام، سيدي، لكنّي أعود فأصرّ على نصحك فيما بيننا أن تُعدّ لها زوجاً آخر. فهي غير معدّة لتكنّي بالسيدة ديافواربوس.

أرغان : وأنا أقول إنه لا غنى عنه.

توانيت : إيه زه لا تتفوه به !

أرغان : وكيف ! ألوذ بالصمت ؟

توانيت : إيه، لا.

أرغان : لم لا آتي على ذكره ؟

توانيت : لكأنهم يزعمون أنك لا تعني ما تقول.

أرغان : ليزعموا ما شأوا فلك أقول : عليها أن تُنفذ كلاماً أُعطيه .

توانيت : كلاً في يقيني أنها لن تلبيه.

أرغان : أرغمها عليه إرغاماً.

توانيت : قلت لك : لن تفعله.

أرغان : تفعله أو أدخلها الدير، أنا.

توانيت : أنت ؟

أرغان : أنا.

توانيت : حسناً.

أرغان : حسناً، كيف ؟

توانيت : لن تضعها في الدير.

أرغان : أنا لا أضعها في الدير.

توانيت : كلاً !

أرغان : لا ؟

توانيت : كلاً !

أرغان : أوه، إنها لمَهْزلة، ألا أدخل أبنتي ديراً، إن شئت ؟

توانيت : قلت لك، كلاً.

أرغان : ومن ترينه يمنعني ؟

توانيت : أنت بنفسك.

أرغان : أنا ؟

توانيت : نعم فلا قلب لك ...

أرغان : سيكون لي.

توانيت : إئتكَ تتجاهله.  
أرغان : أنا لا أتجاهله.  
توانيت : عاطفتك الأبوية تغلبك.  
أرغان : لن تنال مني أبداً.  
توانيت : دمة صغيرة، أو دمتان، وذراعان تعانقانك ومناذاة « يا أبتاه الحنون الطيب » ... عذبة رقيقة تكفي للتأثير عليك.  
أرغان : كل هذا لا يجدي فتيلاً.  
توانيت : بلى، بلى.  
أرغان : قلت لك، لن أراجع أبداً.  
توانيت : تخرصات باطلة.  
أرغان : لا تجعلني تقولين أبداً « إنها تخرصات ».  
توانيت : رباه، أنا بك أدرى، المعدن طيب.  
أرغان : لست بطيب بتاتاً، بل إتي خبيث كلما نويت.  
توانيت : رويدك، سيدي، لم تعد تظن إلى أنك عليل.  
أرغان : أمرها أمراً باتاً؛ فلتستعد لتأخذ زوجاً من ذكرت.  
توانيت : وأنا أمنعها منعاً باتاً، أن تأتي بأي شيء.  
أرغان : يا لجسارة خادمةٍ تتناول هكذا بحضرة معلّمها !  
توانيت : عندما رب البيت لا يعي ما يعمل فمن واجب الخادمة الواعية أن تصحيه.  
أرغان ( يمدو خلف توانيت ) : سحقاً لك من وقحةٍ ينبغي لي أن أحمّد أنفاسك.  
توانيت ( هاربة من وجهه ) : ينبغي لي أن أستدرك ما يجلب عليك العار.  
أرغان ( راكضاً مفصّباً خلفها حول المقعد وعصاه بيده ) : تعالي ألقنك درساً في الكلام.  
توانيت ( هاربة من جهة المقعد لا من ناحية أرغان ) : كل همّي أن أصدّك لئلا ترتكب أدنى حماقة.  
أرغان : كلية !  
توانيت : كلا، ما وافقت أبداً على هذا الزواج.



أرغان : مخادعة !  
توانيت : دعني، لن أقبل أبداً أن تتزوج صاحبك توماس ديافوارايوس.  
أرغان : سافلة !  
توانيت : فلا يجدر بها إلا أن تدعن لي.  
أرغان : أنجليك، ما بالك لا تمسكين لي بهذا الماكرة.  
توانيت : بحقك يا والدي، لا تتفاعس...  
أرغان : إن لم تعترضها أنزلت لعنتي عليك.  
توانيت : إن امتثلت لك حرمتها أنا من الميراث.  
أرغان ( يتهالك في مقعده، منهوكة من المطاردة ) : أوه، أواه طفح الكيل، تلاشيت  
كفاني عذاباً يخدم أنفاسي.

### المشهد السادس

بالين، أنجليك، توانيت، ( قد تنغيان ) أرغان.

أرغان : هيا، زوجتي، إقتربي مني.  
بالين : ما بك، أيا زوجي المسكين ؟  
أرغان : إليّ، إليّ هلمّي إليّ.  
بالين : ماذا يجيء، يا بُني ؟  
أرغان : أميمة.  
بالين : خليلي.  
أرغان : غيظوني.  
بالين : يا ويحهم، زوجي المسكين ! كيف يا صاح ؟  
أرغان : صاحبك توانيت، تلك الماكرة، قد تمادت بجسارتها أكثر من أي  
زمن مضى.  
بالين : لا عليك، هوّن عليك.  
أرغان : إنها تثير حفيظتي.

بالين : هَوْن عليك، يا بني.

أرغان : ما فَيِّتْ لساعتها، تقمعي في كل ما أنوي.

بالين : ألي هذا الحد وَصَلْتُ ؟ مهلاً هَوْن عليك.

أرغان : وبكل وقاحة زعمت أنني لستُ مريضاً أبداً !

بالين : يا لها، من بذيلة !

أرغان : لعلمك، يا فؤادي، بما يَعْتَوِرُهُ ...

بالين : أجل، يا قلبي، ألحق عليها.

أرغان : أيا حبي، هذه الماكرة، تقصف عمري.

بالين : أَوْصَلْتُ بك إلى هذا الحد ؟

أرغان : هي علة كل ما أنزُهُ من مرارة كبدي.

بالين : لا تُفرط بالغضب.

أرغان : صار لي مدة، لا أعلم مداها، وأنا أحرضك لتخلي سبيلها عني.

بالين : رباه، ليس من خدم، يا بني، ولا من جوارٍ إلّا وعليهم مآخذ نتحملها

من أجل مكارمهم. فهذه ماهرة، نشيطة سيما إنّها أمانة وأنت تعلم ما يلزمنا من

حرص على الناس الذين نستخدمهم ! توانيت، هلمي.

توانيت : مولاتي.

بالين : لم تثيرين غضب زوجي إذن ؟

توانيت (بلهجة عذبة) : واحسرتاه، سيدتي، أنا لا أفهم ما تقصدين فأني لا ألقى

بالاً إلّا إلى كلّ شاردةٍ وواردةٍ تطيب خاطر السيّد.

أرغان : تبّاً للخائنة.

توانيت : أفادنا السيد أنّه يعطي بنته للزواج من ابن السيّد ديافواربوس أحبته —

مع أنني أجده نصيباً لها صالحاً، إنّما يفعل الأصلح بوضعها في الدّير.

بالين : ما هذه الطامة الكبرى ! بل أرى أنّها على صواب !

أرغان : أوه، يا حبي، أتصدّقينها إنّها لدهاية دهياء وقد قذفتني مئة مرّة بقاذع

الكلام.

بالين : حسناً، صدّقتك يا صاح، سوّ جلستك حذارٍ، يا توانيت، إن أنت بعد

أزعجت زوجي طردتك شرّ طردة، والآن علّب بجبّة الفرو وبالوسائد، أسوي

المقعد علّك تترأخ متكئاً، رُصّ القلنسوة حتّى الأذنين. ليس أدعى للنزلة الصدرية من لفحة الهواء من الآذان.

أرغان : أوّه يا أميمة، كم أنا مدين لك بما تحيطيني به من وقاية.  
بالين ( مرتبة الوسائد حول أرغان ) : قَبِّ لأضع هذا تحتك، وهذه سنده، وتلك من الجانب الآخر، هذا خلف ظهرك، وذاك سنداً لرأسك.  
توانيت ( جاعلة بعنف على رأسه وسادة وهي تبعد ) : وهذه الأريكة، لتيسير هباتِ نسائمِ العصور لحضرتك.  
أرغان ( ينهض غاضباً قاذفاً توانيت بالوسائد ) : يا لك من مأكرة ! هكذا تغطينني !

بالين : ما هذا، لا، لا، كلا !  
أرغان ( يرمي على مقعده منهوك القوى ) : آه أوّه آه. ما عدت أستطيع الاحتمال، من بعد !

بالين : علام أحتدأمتك هذا، وفي ظلّها أنّها تحسن فعلاً !  
أرغان : أنت، حبي، لا تعرفين مكر هذه الخبيثة، أوّه، قد استفزّنتني حتّى طرتُ شعاعاً ويلزمني أكثر من ثمانية علاجاتٍ ودزينة شطفاتٍ لترميم كل هذا.  
بالين : صاح، كفى، هدئ من روعك.  
أرغان : بك يا أميمة، كلّ عزائي.  
بالين : يا للولد الصغير المسكين.  
أرغان : إقراراً بحبك لي. وعرفاناً لجميلك نحوي بوّدي كما قلت، يا قلبي، أن أكتب وصيتي لك.

بالين : أوّه، خليلي، دعنا من هذا أرجوك أبداً لا أعلم كيف أطمئن إلى هذه الفكرة، إنّ اللوصيّة لفظةٌ تجعلني أرتعش ضيقاً.  
أرغان : ناشدتك أن تفتحي الكاتب العدل بهذا الخصوص !  
بالين : هو بصحبتي، ههنا.

أرغان : يا حبي، دعيه إذن يدخل.  
بالين : وأسفاه، خليلي، هكذا كلّما استأثر الزوج بكلّ الحبّ لا يعود ثمة من مجالٍ للاحتفاء بمثل هذه الأمور.

## المشهد السابع

الكاتب العدل، بالين، أرغان

أرغان : أذن، أيها السيّد بنّفوا أذن مني، تناول لك مقعداً من فضلك. لقد أفادتني عنك زوجتي. أنّك الرّجل الهمام أيها السيّد، وأنك حقاً من خاصتها فوكلتها بمفاتحتك بشأن وصيّة أريد أن أوصّيها لها.

بالين : وأسفاه، لا طاقة لي أبداً بالمداولة بهذه الأمور.

الكاتب العدل : قد شرحت، سيّدي نواياك نحوها، وقصدك بها، ولا أخفي عليك فيه، أنّه لا يمكنك أن تستوعب شيئاً ممّا لك أن تهبه زوجتك بوصيتك.

أرغان : لماذا، كلّ هذا ؟

الكاتب العدل : العادة المألوفة هي التي تحول دونها، فلو أنّك في بلاد الحقّ المدوّن لأستتبّ لك الأمر. إنّما في بلاد التقاليد، أقلّه المرعية في مجملها، وفي باريس، فلا يصحّ هذا الأمر. وكلّ تمهيدات لها تصبح لاغية. كلّ مصلحة قائمة ما بين مرءٍ مقترنٍ بامرأةٍ في القران، يمكن أن يصنعها الواحد بالآخر كعطاءٍ متبادل ما بين أحياءٍ باعتبار أنّ لا بنين لدى الطرفين، أو لدى الطرف الواحد حال وفاة الثاني.

أرغان : يا للمألوف المزعج ! حيث لا يستطيع الزوج إيلاء زوجته شيئاً، هي الشغوفة به الحانية عليه ! لعله فكر راودني لاستشارة محاميّ تبصراً لي فيما أستطيع التصرف به.

الكاتب العدل : ما الحاجة إلى محامين للمراجعة، لأنهم صارمون بهذا الصّد ويظنّون أنّها الجريمة الكبرى احتيالاً على القانون، فما هم إلّا أصحاب المتاعب، قاصرون عن مواربات الضمير فثمة أشخاص أكثر إيناساً بالشورى ولديهم ما لديهم من ترويجات للتجاوز استخفافاً بالقانون فكلّ ممنوع ممنوع، إنهم أدري بتدليل العقبات في مسألة يوفقون إلى أساليب تتجنّب المألوف ببعض توفيقات غير ملتوية، لولا هم أين كنّا صرنا، يومياً. لا بدّ من تيسير الأمور فلا حيلة لدينا لنحرّك ساكناً ولست أضحيّ دونها ولا بصوّلٍ واحدٍ في مهنتنا.

أرغان : حقاً، أيها السيّد، لقد سبق أن أفادتني زوجتي عن مدى نباهتك وقُدْرِ  
تُبْلُك الرّفيّع، فمن أين لي اجتهداً من فضلك، لأهبها خبراتي وحرمان أولادي  
منها ؟

الكاتب العدل : من أين لك ذلك ؟ ما لك سوى أن تنتقي برويّة، صديقاً  
لزوجتك صدوقاً، تسلّمه صكّاً بالوصيّة، بالصيغة الصحيحة، على أنّه فيما بعد  
يفرّغ لها مالها. باستطاعتك أيضاً أن تعقد عدداً وفيراً من قيود الحق لصالح  
مرايين كثيرين يقايضون أسمهم لزوجتك، متنازلين لها بتصريح عمّا تصرفوا به  
عند رغبتها. ويمكنك أيضاً طالما أنّك على قيد الحياة أن تضع بين يديها مالا  
عدداً ونقداً أو سنداتٍ تستحصل عليها مدفوعاتٍ لحامله.

بالين : ربّاه، ما لك ولكل هذه الأشياء، ان تمّ ذلك في غيابك، فلا طاقة لي  
بالعيش من بعدك.

أرغان : أميمتي !

بالين : أجل، يا لتعاستي من بعدك يا خليلي.

أرغان : خليلتي العزيزة !

بالين : حياتي تغدو هباءً.

أرغان : يا حبيّ.

بالين : ألحق بك، لتعرف مدى تَحَنّاني إليك.

أرغان : رفقاً بنفسك يا خليلتي، أرجوك. إنّك تصدّعين فؤادي.

الكاتب العدل : دموعٌ في غير موسمها، فالأمور لم تبلغ بعد إلى هذا الحدّ.

بالين : أنت أيّها السيّد لا تدرك مكانة الزوج المعشوق مستائراً بكلّ عوارف  
الحنان.

أرغان : أعظم الحسرات عندي، إن قضيتُ نحبي وأنا محرومٌ من وليدٍ منك  
مع أنّ السيّد بورغون أفادني أنّه يولّدني واحداً.

الكاتب العدل : الاحتمال ما يزال وارداً بعد.

أرغان : لا بدّ لي من تسجيل الوصيّة، يا حبيّ، وعلى النّحو الذي يرتّمه السيّد  
بالذات. إنّما على سبيل الحيلة أحبّ أن أبذل لك عشرين ألف فرنك ذهباً

موجودة بإفريز كُونِي وسندين لأمر حاملهما مستوجبين لي؛ سندٌ على السيّد  
دامون وآخر على السديد جيرانت.

بالين : لا، كلاً، ليس لي أدنى مطمع في أيّ منها، أوّه كم ذكرتُ إنّه هناك  
في الكُوّة.

أرغان : عشرون ألف فرنك. يا حَبِّي.

بالين : ما لي ولسيرة المقتنيات، أوّه بكم السّنّدات ؟

أرغان : هما يا حَبِّي، سندٌ بأربعة آلاف، وآخر بستّة.

بالين : كنوز، العالم طرّاً، ليست بمنزلتك عندي، يا خليلي.

الكاتب العدل : أتأمر بالشّروع بالوصيّة ؟

أرغان : أجل أيّها السيّد ولعلنا في قمرتي الصّغيرة نطمئنّ أكثر من هنا، هلمّي  
بنا، يا حَبِّي، إليها، أرجوك أن تقوديني إليها.

بالين : هيّا بنا يا بَنّي المسكين.

## المشهد الثامن

أنجليك، توانيت

توانيت : هما مع الكاتب العدل، فقد نما إلى سمعي كلامٌ عن الوصيّة، هي ذا  
خالتك لا تغفو أبداً ولا شكّ أنّ المؤامرات تحاك بشأنك على قدم وساق  
وإليها أبوك ينساق.

أنجليك : فلنعبث بماله على كيفها شرط ألا تتلاعب بقلبي أبداً أترين يا  
توانيت، ما يحيكون عليه من دسائس وخيمة ! فلا تتخلّي عني أبداً في غمار  
الأزمات.

توانيت : الموت ولا التخلّي — عبثاً حاولت خالتك أن تجعلني أمينة سرّها  
لتجرنني إلى بؤرة مصالحها فما آنست إليها ميلاً وكنت أبداً إلى جانبك،  
دعيني أنا أتصرّف فسأبذل قصارى الجهد في خدمتك، خدمةً نصوحاً، يقتضي

فيها التبديل من أسلوبِي تَغْطِيَّةً لغيرتي عليك وأيضاً مداراةً لشعور أبيك وخالتك.

**أنجليك :** أستحلفك، علّك تُطلعين كليانت على الزّواج المبرم.  
**توانيت :** ليس لي سوى العجوز المهرج المرابي، حبييتي. أسخّرهُ لهذه الخدمة، إنّه رهنٌ لكلماتٍ من فمي العذب، أطلقها كرمي لك أنتِ، إنّما اليوم تأخّر بنا الوقت كثيراً وغداً صباحاً باكراً أطلقه يتسقط لنا الأخبار ولسوف ينتعش انتعاشاً لـ ...

**بالين :** توانيت ؟

**توانيت :** إنهم ينادوني، عِمتِ مساءً، إرتاحي عليّ بالأ.

## الفصل الثاني

### يتبدّل المسرح ليمثّل حجرة

#### المشهد الأول

توانيت، كليانت

توانيت : عمّ يسأل سيدي ؟

كليانت : عمّ أسأل، أنا ؟

توانيت : ها، ها، هذا أنت ! يا للمفاجأة، وما وراءك الآن ؟

كليانت : أتبيّن مصيري، فيما أحدث أنجليك الطيبة، اسبر غور فؤادها، مستطلعاً لخطوطها؛ عمّا أنبت من زفاف منكود.

توانيت : للإسرار الى أنجليك أسرار، وليس هكذا مواجهة؛ الحراسة مشدّدة، والحجز تام، في الخروج وفي الكلام. رغم حرية تحرّكنا بفضل العجوزة، بتنا نتحفّظ من التندر بمهزلة هواك اللاهب، يا لها من مغامرة !

كليانت : وأنا بتّ أتستّر عن مظهر الولهان، لذلك ما شخصت بوصفي  
كليانت بل بصفتي مندوباً من قبل أستاذ الموسيقى الذي انتدبني قولاً وفعلاً  
لكوني صديقاً الحميم.

توانيت : هوذا أبوها، تنحّ قليلاً، ودعني أنبئه بوجودك.



## المشهد الثاني

أرغان، توانيت، كليانت

أرغان : وصف لي السيّد بورغون المشي في الحجرة دزينة مرات ذهاباً،  
ومثلها إياباً؛ فسها عن بالي أن أستوضحه أبالطول أم بالعرض ؟!

توانيت : سيدي ... أحدهم هناك !

أرغان : بصوت خافت، يا مأكرة، دماغي زعزعتيه ، ألا تُقلعين عن الصّراخ مع  
المريض إلى الهمس له ؟

توانيت : سيدي ... ( تتظاهر بالحديث معه ) .

أرغان : أيها ... !

توانيت : أقول ... ( متظاهرة بالكلام معه )

أرغان : ماذا تقولين ؟

توانيت : قلت : الشّابّ بالباب، يلتمس الجواب.

أرغان : فليتقدّم.

توانيت ( تشير الى كليانت بأن يتقدّم )

كليانت : سيدي.

توانيت ( ساخرة ) : لا تتكلّم بصوت عالٍ لئلاّ تخضّ للسيّد دماغه.

كليانت : يطيب لي أن أصادفك سيدي، منتصباً وعلى أحسن حال.

توانيت ( متظاهراً بالاحتراد عليه ) : على أحسن حال، هذّر وهديانّ، السيّد دوماً  
سيئ الحال.

كليانت : بلغني أنّ حال السيّد تحسّنت، وها إني أستشفّ على وجهه الرّواء.

توانيت : من أين لوجهه الرّواء ! السيّد عاطلٌ جدّاً؛ ما أغلظ الذين تنادروا  
عليك في تحسّن أحواله. ما كان قطّ أنحسّ حالاً منه اليوم !

أرغان : الحقّ معها.

توانيت : هو صحيحّ، يمشي ويرقد، إنّه يأكل ويشرب كسائر الناس، إنّما هذا  
لا يخفّف من وطأة العلة عليه.

أرغان : هذا صحيح !

كليانت : أنا أسفل دركات الأسي، سيدي. إنَّما أوفدني، أستاذ الغناء لدى  
الآنسة ابنتكم، لأنَّه اضطرَّ للمثول إلى الرِّيف أياماً؛ ونظراً لصداقتنا الحميمة،  
انتدبتُ بدله، إنجازاً لدروسها؛ مخافةً من أن تنسى ما تعرفه الآن، بانقطاعها  
عنه.

أرغان : حسناً جداً، نادي أنجليك.

توانيت : خيرٌ له أن يتوجَّه إلى حجرتها، سيدي.

أرغان : لا بل يُثني بها.

توانيت : يتعذَّر عليه تدريسها كما ينبغي، إلَّا على انفراد.

أرغان : بلى، قلت : بلى.

توانيت : الصَّداع يلجَّ عليك، سيدي. فلا داعٍ لا لإزعاجك بمثل وضعك،  
ولا لخضخضة دماغك.

أرغان : لا، لا. أمسيت بالموسيقى مولعاً وسأرتاح جدّاً إلى ... آه، ها هي.  
إليك عني لزوجتي تجدينها قد تزيَّت.

## المشهد الثالث

أرغان، أنجليك، كليانت

أرغان : هلمّي، يا ابنتي، لقد انصرف معلّم الموسيقى إلى الرِّيف، وهوذا شخصٌ  
من طرفه إليك، مرشداً لك.

أنجليك : العياذ بالسَّماء !

أرغان : ما بك؟ لم أصابك منه الذَّهول ؟

أنجليك : هذا هو...

أرغان : ما الذي خلبك هكذا ؟

أنجليك : يا لصدفه مذهلة تتحقق معي ههنا ! يا والدي.

أرغان : كيف كان ذلك ؟

أنجليك : حلمت الليلة أنَّ شخصاً دنا مني فارتبكتُ لمرآه كان على هيئة

السيد تماماً، استنجدت به فأنجدني، من ورطتي، وهذا ما صادفته لدى وصولي، لذلك استحوذ عليّ ذهولٌ شديد لأتّه طيلة الليل كان ببالي.  
كليانت : يا لشقائي إذن شاغلاً بالك نائمة يقظى ! ويا لهنائي إن رأيتني حقاً معيناً لك من ورطة. سوف لا أتوانى أبداً عن ...

## المشهد الرابع

توانيت، كليانت، أنجليك، أرغان

توانيت ( بسخرية ) : سيدي، اليوم رأي من رأيك فأضرب صفحاً عمّا بالأمس زعمته لك، هوذا السيد ديافواريس الأبُّ مع السيد ديافواريس الابن يشرفان لزيارتك. إنك به تصاهر عبقرياً لتبْلُوتهُ صبيّاً لا أبدعَ ظرفاً ولا أروغَ منه بين الأنام، بلفظتين منه سبى عقلي، وعمّا قريب سيسلب ابنتك لبّها.  
أرغان ( مخاطباً كليانت الذي يتظاهر بالانصراف ) : لا تغادرنا أيّها السيد، إني أزفّ ابنتي لخطيب، لم ترَ قطُّ له وجهاً، حتى مجيئه الآن.  
كليانت : لي الشرف الأثيل كشاهد على مقابلة هكذا طريفة، أيّها السيد.  
أرغان : نطاسيُّ بن نطاسيُّ، أزفةٌ في أربعة أيام.  
كليانت : حسناً جداً.  
أرغان : نؤّه به لأستاذ الموسيقى كيما يحضر.  
كليانت : لن أتوانى.  
أرغان : أرجو أن تشرفنا أنت كذلك.  
كليانت : إنك توليني الشرف العميم.  
توانيت : دَعُونَا نصطفّ لقد وصلنا.

## المشهد الخامس

السيد ديافواربوس، توماس ديافواربوس، أرغان، أنجليك، كليانت، توانيت.

أرغان ( واضعاً اليد على القلنسوة دون أن ينزعها عن رأسه ) : السيد بورغون، منعني، أيها السيد، عن كشف هامتي إنكم في المهنة وتدركون العواقب.  
السيد ديافواربوس : نحن بعيادتنا المرضى إنما نحمل الإسعافات لا المضايقات لهم.

أرغان ( يتحاوران معاً فتارة يتقاطعان، وطوراً يتشايكان ) : أتقبل أيها السيد ...  
السيد ديافواربوس : شخّصنا إلى هنا، أيها السيد ...

أرغان : بغبطة غامرة ...

السيد ديافواربوس : ولدي توماس و أنا ...

أرغان : تشرفنا به وبك ...

السيد ديافواربوس : لنقرئك أيها السيد ...

أرغان : لعلّي يوماً رددت لكما الزيارة ...

السيد ديافواربوس : ذهبلاً استحوذ علينا ...

أرغان : في دارك لو قدرت ...

السيد ديافواربوس : لإنعامك علينا ...

أرغان : برهاناً منّي لك عليه ...

السيد ديافواربوس : إحترافاً طوقتنا به ...

أرغان : بفهمك الكفاية ...

السيد ديافواربوس : نزيد شرفاً ...

أرغان : بحالة عليل مسكين ...

السيد ديافواربوس : شرف تحالفك معنا ...

أرغان : لا يقوى إلّا على ...

السيد ديافواربوس : برهاناً منّا لك عليه ...

أرغان : وهنا بصريح العبارة ...

السيد ديافواربوس : فيما يتعلّق بمهنتنا ...

أرغان : إنّه يغتنم كلّ سائحة ...  
السيد ديافواربوس : وفي كلّ مأثرة أخرى ...  
أرغان : لإبلاغك إياه، أيّها السيد ...  
السيد ديافواربوس : نكون أبدأً على أهبة أيّها السيد ...  
أرغان : لمدى تفانيه في خدمتك ...  
السيد ديافواربوس : ودلالةً لغيرتنا عليك ( يلتفت الى ابنه ويقول له ) : هلمّ يا  
توماس تقدّم وأدّ تحياتك.  
توماس ديافواربوس ( مغفّل كبير، مرتبك بتصرفاته فاشل في اتيار الوقت والمناسبة —  
تخرج حديثاً من الكلية ) : أولاً الوالد أولى، أليس كذلك ؟  
السيد ديافواربوس : أجل !  
توماس ديافواربوس : سيدي، أنا بادرثُ إليك، أستشفّ منك، متعلّقاً بك  
لأجل فيك، وأحثّيك أباً لي ثانياً. الأول ولدني وأنت اخترتني، هو قبلي  
احتياجاً لي، وأنت استقبلتني منّة علي، ما كسبته منه صنع جسده وما استمديته  
منك فعل مشيئتك، وبقدر ما سمّو الروحيّات على الجسديّات أدين لك بهذا  
التبني العتيد فأقدره تقديراً نفيساً. لذا مثلت اليوم أمامك لأبثّك سلفاً بوادر  
الإكرام منّي لك، جليلاً متواضعة.  
توانيت : فلتحيّ المعاهد التي تخرج إنساناً هكذا لودعيّاً بارعاً.  
توماس ديافواربوس : أما أحسنت، يا أبي ؟  
السيد ديافواربوس : بل تفوقت على المُجلّين.  
أرغان ( إلى أنجليك ) : هلمّي، سلّمي على السيد.  
توماس ديافواربوس : أألثمها ؟!  
السيد ديافواربوس : أجل، أجل.  
توماس ديافواربوس ( إلى أنجليك ) : أيّتها السيّدة، إنّ السّماء عن حقّ حقيق،  
دعتك أنت الخالة؛ « الأم الحلوة » لأنّك ...  
أرغان : ليست هذه بزوجتي، إنّك تخاطب ابنتي.  
توماس ديافواربوس : أين السيّدة إذن ؟  
أرغان : على الطّريق إلينا ...

توماس ديافوارايوس : أَلْخَفَّ مِمَّا بِي حَتَّى وَصُولَهَا ؟ يَا أَبِي ؟

السَّيِّدُ دِيافوارايوس : هَيْه، طالما عليك بتأدية التَّحِيَّة لِلْآنَسَةِ.

توماس ديافوارايوس : آنَسْتِي، لَا أَكْثَرَ مِمَّا تَعْرِفُ نَغْمَةً طَرُوبَ، وَلَا أَقَلَّ مِنْهَا، مَتَصَاعِدَةً رَثَانَةً مِنْ تَمَثَالِ « مِمَّنُونِ » الرَّثَانِ، كُلَّمَا ضَرَبْتَهُ أَشْعَةُ الشَّمْسِ الشَّارِقَةُ عَلَيْهِ، هُكْذَا أَجْدُنِي مَتَشِيًّا بِقَشْعِرِيَّةٍ رَقِيقَةٍ لَدَى إِشْرَاقِ شَمْسِ مُحَاسِنِكَ، وَكَمَا يَلْمَحُ الْفِيزِيَائِيُّونَ زَهْرَةَ اسْمِهَا دَوَّارُ الشَّمْسِ وَهِيَ أَبَدًا تَدُورُ بِدَوْرَانِ نَجْمَةٍ النَّهَارِ ؟ هُكْذَا قَلْبِي مِنْ الْآنَ فَصَاعِدًا يَدُورُ بِعَيْنِيكَ الْمَعْبُودَتَيْنِ كَنَجْمَتَيْنِ سَاطِعَتَيْنِ لِأَنَّكَ أَنْتِ قَطْبِي الْوَحِيدُ ... تَكْبِدِي إِذَنْ آنَسْتِي أَنْ أَعْلَقَ الْيَوْمَ فِي هَيْكَلِ مِفَاتِنِكَ تَقْدِمَةً فَوَادٍ لَا يَتَنَسَّمُ عَزًّا وَلَا يَطْمَحُ إِلَى مَجْدٍ سِوَى أَنْ يَكُونَ مَدَى عَمْرِهِ لَكَ آنَسْتِي، الزَّوْجَ وَالْخَادِمَ الْمُخْلِصَ الْخَضُوعَ أَبَدًا جَدًّا.

تَوَانِيْتُ ( سَاخِرَةٌ ) : هُكْذَا هُكْذَا مَعْنَى الدَّرْسِ، دَرِّزْ مِنْ الْبَدِيعِ وَالْبَيَانِ الْمَثُورِ.

أَرْغَانُ : وَأَنْتِ مَا قَوْلِكَ فِيهِ ؟

كَلِيَانَتُ : سَيِّدٌ يَلْهَجُ بِالْبِدَائِعِ، جَاءَ نَطَاسِيًّا بَارِعًا عَلَى غَرَارِهِ خَطِيئًا لَوْذَعِيًّا لِحَسَنِ حَظٍّ مِنْ يُحَسَّبُ عَلَيْهِ عَلِيًّا فِي عِدَادِ مَرْضَاهِ.

تَوَانِيْتُ : حَتْمًا، وَفِي ذَلِكَ آيَاتُهُ، آيَاتٌ فِي تَنْظِيمِ الْعَقَاقِيرِ، وَآيَاتٌ فِي نَظْمِ التَّعَابِيرِ.

أَرْغَانُ : إِلَيَّ، هَاتِي لِي مَقْعَدِي، وَالْكَرَاسِي لِلْجَمِيعِ، هُنَا أَقْعُدِي يَا ابْنَتِي، إِنَّكَ تَرَى أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنَّ الْجَمِيعَ بَابْنِكَ مَعْجَبُونَ، وَأَرَاكَ سَعِيدًا لِاقْتِنَائِكَ هُكْذَا صَبِيًّا. السَّيِّدُ دِيافوارايوس : بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِي وَالِدَهُ، أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَحْدَثَ بِهِ الرِّكْبَانُ، مَغْتَبَطًا بِهِ. وَبَرَاءَةُ سَجِيَّتِهِ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ. مَا تَمَيَّزَ قَطُّ لَا بِمُخِيلَةٍ جَيَّاشَةٍ وَلَا بِذَهْنٍ مَتَوَقَّدٍ. كَغَيْرِ مَا تُلَاحِظُهُ لَدَى الْآخَرِينَ. لِهَذَا تَوَسَّمْتُ فِيهِ أَبَدًا ذَوْقًا سَلِيمًا لَا غَنَى عَنْهُ فِي مِمَارَسَةِ مِهْنَتِنَا. لَمْ يَكُنْ، فِي نَعُومَةِ أَطْفَارِهِ، لَا دَاهِيَةً وَلَا حَتَّى نَبِيهًا بَلْ خَفِيفُ الْجَانِبِ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ، سَكُوتًا لَا يَنْبَسُ بِنِتِ شَفَةِ. وَلَا مَالٌ إِلَى صَبَوَةِ الصَّبِيَّانِ، وَلَا تَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ إِلَّا بِشَقِّ نَفُوسِ مَعْلَمِهِ. حَتَّى نَاهَزَ التَّاسِعَةَ وَلَمَّا يَتَهَجَّأُ حَرْفًا وَاحِدًا. لَكِنْ رُحْتُ أَرْدَدُ فِي نَفْسِي : « لَا بَأْسَ عَلَيْهِ إِنْمَا الْأَشْجَارُ الْمَتَفَوِّقَةُ تَتَمَرُّ أَشْهَى الثَّمَارِ، وَالنَّقْشُ أَبْقَى وَلَوْ كَانَ أَصْعَبَ

في الرّخام ممّا في الرّغام، فهكذا استيعاب في مهلة، وتخيل في تودة؛ دليل فطنة متفتّحة».

لما أرسلته للمعهد شقّ عليه ذلك لكنه جابه العقبات، أمّا معلوموه فأخذوا بمثابرتهم، وامتدحوه لي، وما انفكّ يطرق الحديد حتى نال إجازاته العلميّة بكلّ اعتزاز. وأقولها دونما تبجّح: « طيلة احتلاله مقاعد الدراسة ما ضجّت المساجلات المدرسية الصاخبة بطالب أكثر مما ضجّت به ». بات مهيب الجانب فما بسطت مناظرة إلّا وقرعها بالحجة الباهرة الحاسمة، هو العنيد جداً كما التركيب أصلاً. لا يتخاذل بل ينفذ إلى بواطن المنطق وثناياه. وأكثر ما يروفي منه، ما يجاريني فيه انسياقاً أعمى وراء آراء الأقدمين، ضارباً بادعاءات عصرنا عرض الحائط، عن اكتشافات وتجارب في الدورة الدموية وغيرها من آراء بنفس العريكة.

توماس ديافوارايوس (ساجاً من جيبه أطروحته في رقعة ملفوفة يقدّمها لأنجليك): عن إذن سيدي، أقدم لك آنستي بنتاً من بنات أفكارني هي مرافعتي عن أطروحة أدحض فيها الرّواقين أرفعها لك عربون احترامي.

أنجليك: هي عندي من نوافل الأثاث، سيدي، ولا عهد لي، بمثلها.

توانيت: هاتيها، نزين بها الحجرة، لا ضير في اقتنائها بين الرّسوم.

توماس ديافوارايوس: كذلك عن إذن سيدي، سأدعوك على سبيل التسلية إلى حفلة تشريح سيّدة، أتولّي تبرير الشرح عنها يوماً.

توانيت: تسلية مستحسنة، منهم من يستسيغون حفلة الترفيه عادةً، للسيدات، أمّا التشريح ففيه إغراء.

السيد ديافوارايوس: وأخيراً، جرياً على أصول نطاسيينا المرعية، بشأن القرآن والإنجاب أثبت أنّه على درجة من زخم الإنسال جديرة بالثناء. وأنّ نظرية التوليد لديه والإنجاب عنده، طبيعة راجحة ناجحة.

أرغان: أليس في نيتك، أيّها السيد، أن تولجه البلاط وتولّجه بوظيفة الطبيب هناك.

السيد ديافوارايوس: بصريح العبارة، لم تكن لتروق لي مهنتنا مع الخاصّة هناك، لعلمي أنّه خير لنا، نحن معشر الأطباء، أن نلازم العامّة هنا. فالعامّة

أيسر. إذ لا حساب عليك تؤذيه لأحد، ولا هم يتطفّلون علينا، طالما نتفّن بهم حسب الأصول المرعية. وشرّ الأعيان أنّهم عندما يتوعّكون يتحاملون للشّفاء على أطبائهم.

توانيت : عجباً عجباً، مجرّد أوباشٍ ويلتمسون الشفاء منكم معشر الأطباء، مع أنّكم لستم من أجل ذلك بينهم؛ فليس لوجودكم من مبرّر غير قبض المرتبات ووصف الأدوية، وهيهات أن يبرأوا، ما قدرُوا.

السيد ديافوارايوس : هذا هو الصحيح ؟ ما لنا سوى معالجة الناس بالمراسيم. أرغان ( إلى كليانت ) : دع ابنتي تنشد الضيوف، أيّها الأستاذ.

كليانت : بانتظار أوامرك، سيدي، حدّثني نفسي، للترويح عن الحاضرين بأن أرافق الأنسة، إنشاداً، لمشهدٍ من أوبرا صغيرة حديثة العهد. ( يناول أنجليك ورقةً قائلاً لها ) إليك أنت مقطوعتك.

أنجليك : هذه لي أنا ؟

كليانت ( بصوتٍ منخفض لأنجليك ) : إرضي بها، ودعيني أدلك إلى مشهدٍ تؤذيه معاً. أرجوك.

( عاليًا ) : ليس صوتي رخيماً، حسبي أنّه مسموع. فالتمسوا لي من فضلكم عذراً لمأزقٍ وقعت فيه، في إطلاق الأنسة بالغناء.

أرغان : لعلّها بيوتٌ من عيون الشّعْر ؟

كليانت : هي بالأحرى شذراً من أوبرا صغيرةٍ مرتجلةٍ نستأذن بها على سمعكم غناءً منشوراً منظوماً أو أبياتٍ حرّةٍ نفحاتٍ حبيبٍ وحبّية، يتناغيان تلقائياً وعلى الفور، ينساب الكلام العذب انسياباً.

أرغان : حسناً جداً، فسمعاً.

كليانت ( متسّراً باسم الراعي، ييوح بحبّه لمحبيته منذ الوهلة الأولى، بعدها يزأوجان الأفكار فكراً بفكر غناء ) : هاكم فحوى المشهد : فيما كان الراعي مأخوذاً بروعة المنظر البديع، إذا بضوضاء تقطع عليه انجذابه اليه، التفت فإذا بوحشٍ يزجر الراعية بألفاظٍ نابيةٍ، للحال دبّت فيه نخوة الرجال صوناً للشرف، وبعد تأديبه الفظّ على فظاظته، خفّ نحو الراعية إذا بها فتاةٌ يافعةٌ يانعةٌ تذرف أبهى الدّموع من أبهى حدقتين، فقال في نفسه : « واحسرتاه ! أو يجسرون هكذا



على إهانة هكذا مخلوقة لطيفة ، أي إنسان ، لعمرى ، بل أي بربري لا تراه يرق لمثل هذه العبرات.

أكب يخفف العبرات الساحرات، وراحت الرّاعية في تلك الأثناء تشكره لخدمته النصوحة. بأسلوبها الرقيق الشغوف الفتّان، فذهبت بالرّاعي كل مذهب. كانت كلّ عبرة وكلّ نظرة سهماً ملتهاً نافذاً حتّى الصّميم فقال : « لا شكر لمروءة؛ ثرى، أيلجم المرء أو يحجم ؟ تراه يستعظم الخطر أم يستصغره لقاء أنس نفس شكورة أخاذة ، ها المشهد الطويل ينتهي بسرعة خاطفة مع الأسف ليفرق ما بين راعٍ عابِدٍ ورّاعية معبودة. فمن النظرة الأولى، ولوهلة بنت ساعته، يمضي الى بيته مشحوناً كأعنف من حشد الغرام في أعوام.

بات على مضض يعاني آلام الوحشة والحرمان، فراح يحاول ما استطاع لملاقاة تلك التي أسرت لّبه نهراً، وقصّت عليه مضجعه ليلاً. ولشدة ما برّح به الغرام، عوّل على الزّواج من فتنة سويّة لا غنى له عنها لعيشه، فاستدرجها إلى الإذعان كتابةً بطرف خفي. وفي تلك الأثناء أبلغوه أنّ أباهما أبرم زواجهما من آخر غيره، وأنهم يعدّون العدة لحفلة العرس، تصوّروا أيّ وطأة قاسية، نزلت بفؤاد ذلكم الراعي التعيس ! إنّه الألم المميت يتناوبه، لدى رؤيته منية قلبه تنسلّ، من ذراعيه، إلى ذراعي سواه، إنّما حبّه اليأس تفتّق له عن حيلة للولوج إلى عقر دارها للإطلاع على دخيلة راعيته، لعلّ وعسى فلقني ما كان يخشاه من إنجازات؛ على قدم وساق. ورغم لواعج حبّه — إرضاءً لنزوة الوالد، جيء بمنافسة الدّون يراحمه على قلب الرّاعية حتى فاز بها أو كاد. يومها استشاط غيظاً، وضاق به ذرعاً، راح يرمقها بنظرات الأسى وظلّ أصم لا يسترق إليها إلا اللّمحات احتراماً لها بحضرة أبيها حتّى كسر الطوق عن حبّه الجارف فأنشأ يخاطبها هكذا: ( يغني ):

فليسَ الحلـوة	طفـح الكيـل
فـلـك الحـول	ولـك القـول
وبـه مـالـي	عـن آمـالـي
رغـد العـيش	نـعـم الفـال

أنجليك (تجيب منشدة) :

ترسيسا، الحزن ملء القلب هاك؛  
تجهيزات العرس فائتت لنا، فداك؛  
أرفع العيني من أبكبي كي أراك؛  
ليس لي عَيْنٌ سواك.

أرغان : لم أكن أدري، أن بنتي على جانب من الانشاد عظيم فهي لا ترتبك في  
نصوص الكتاب !

كليانت : أسفاً فلسة !  
شقيبي يس !  
أنجليك : ترسياس، القلب  
فهوى ترسُس ماله حظ،  
أين جبي ؟ قلب فظ ...  
عندي بالهوى؛  
بمثل نارك إكتوى.

كليانت : نثرت طُعماً ؟  
فلسة النعمى  
أنجليك : ترسِس، جبي  
كليانت : عفواً فلسة  
أنجليك : يملا الحب  
كليانت : قلبي الصدق  
مئة لفظاً  
جهالاً، مهلاً !  
رددي  
النور القبس ...  
ماذا أتعكس ؟  
الروح النفس ...  
الحق الحق  
مئة نطقة

أنجليك : ترسُس جبي،  
لك ترسِس  
كليانت : يا ملوك الأرض  
عند أقدام الغرام  
عفواً فلسة  
قلبي آنق بض  
كيف آتلف  
أنجليك : دعني منه يا حبيبي  
لست أدعوهُ قريبي  
إن يمت أنت نصيبي

كليانت : يا ملوك الأرض  
 عند أقدام الغرام  
 عفواً فلسفه  
 قلبي آنقبض  
 كيف أنتفض  
 أنجليك : دعني منه يا حبيب  
 لست أدعوه قريبي

إن يمت أنت نصيبي

كليانت : تحت أحكام الأبوة  
 أنجليك : مرحى مرحى  
 كيف أغنوه ؟  
 التحرر أشهري  
 أرغان : ما كان ردّ الأب على كلّ هذا ؟

كليانت : لا شيء.

أرغان : ويا له من والدٍ أحمقٍ أخرج، المغالطات على مدى سمعه والبصر  
 ولا يعترض بشيءٍ عليها !  
 كليانت : أنت الحبّ كلّ الحبّ.

أرغان : كفاك هزلاً، هذه أسوأ مهزلةٍ عرضت ترسيسُ راعٍ وقع، وفلسةٍ  
 راعيةٍ متماديةٍ في حوارٍ كهذا، وبحضرة الوالد، أرني هذه الورقة آه، ها،  
 ترى أين كلامك من هذه الخطوط ؟ والنّوطة الموسيقية ؟  
 كليانت : فات سيّدي، أنّهم توفّقوا منذ أيّام قليلة، إلى اختراع تسجيل الكلام  
 والنّوطة معاً.

أرغان : حسناً، حسناً؛ جعلت أجبرك سيّدي، فإلى اللقاء... ليتنا استغنينا عن  
 تقديمك الأوبرا السخيفة.

كليانت : خلّطني أسليّك عن...

أرغان : سخافات لا تسلّي عن شيء... أهلاً بها... زوجتي !

## المشهد السادس

بالين، أرغان، توانيت، أنجليك، السيد ديافوارايوس، توماس ديافوارايوس.

أرغان : أعرفكِ على آبن السيد ديافوارايوس، حبيبتي.  
توماس ديافوارايوس ( يهتمّ بإلقاء تقرّظ حفظه، ثمّ يتوقّف لأنّ ذاكرته تخونه ) :  
سيدتي، تخلع السماء كل حقّ عليك أنتِ الرابّة لقب « الوالدة الفتّانة » لأنّ  
على قسمات وجهكِ ربّت مسحةٌ ... من ...  
بالين : إني في غاية الإنشراح لنزولي، أيّها السيد، هنا نزولاً عند شرف  
معاينتك.

توماس ديافوارايوس : ... لأن على قسمات وجهكِ ارتسمت ملامح ...  
سيدتي، اعترضتني عند جملي المعترضة فانقطع حبل أفكارني.  
السيد ديافوارايوس : أرجئها إلى المرة القادمة.  
أرغان : ليتكِ بكّرت، يا صديقتي.  
توانيت : فاتكِ، سيدتي، موقفه من الوالد الثاني، ونصب ممنون الرئان، وزهرة  
تلق وتدور اسمها : « دوار الشمس ».  
أرغان : هيّا، يا ابنتي، ضعي يدك بيده لتولي السيد ثقتك به، عريساً لك.  
أنجليك : أبتاه !

أرغان : حسناً، ماذا تقصدين بقولكِ هذا : « أبتاه » !  
أنجليك : عفوك، مهلاً، هبنا وقتاً للتعرف الى بعضنا لشدّ أواصر المودة تمهيداً  
لتعاطفٍ متبادلٍ ووثامٍ متكامل.  
توماس ديافوارايوس : لا داعي للترتّب عندي، لأنّ الائتلاف والوثام متوفران  
لديّ أصلاً وفصلاً.

أنجليك : إن أنت استفرّك الحماس، سيدي، فلست أنا كذلك، واصرّح لك؛  
إنّ شأنك عندي لم يبلغ بعد في نفسي موقعاً ...  
أرغان : إيه، حسناً، هناك متّسع من الوقت لمراعاة الخواطر، بعدما تتزوّجان.  
أنجليك : هبني اليوم، من الوقت متّسعاً، يا والدي، فالقران قيّد لا يغل القلب  
عنوة. إن كان السيد نبيلاً فلن يرضى بالتّيل مني إذن قسراً عني.

توماس ديافواربوس : « نِهْ غُوْ كُنْسِكُوْ نُتْسِيْمْ » : « الإِسْتِنَاجْ أَنْفِيهِ » ، أنا ما فُتِيتْ نَبِيلاً ، آنَسْتِي ، ما دمت من يد أبيك أَتْسَلَمَكْ .

أنجليك : الإِرْغَامْ عَلَى الْحَبِّ ، أَسْوَءٌ مِنَ الْإِغْتِصَابِ فِيهِ .

توماس ديافواربوس : نَطَالَعُ عَنْ الْقَدَامِي ، آنَسْتِي ، أَنْ انْتِزَاعَ الْبَنَاتِ مِنْ دُورِ الْآبَاءِ لِلزَّفَافِ عَادَةً مَرْعِيَّةٌ عَنْدهُمْ ، لَهْلَا يُشَاعُ أَنَّهُنَّ رَكِبْنَ رُؤُوسَهُنَّ فَأَعْدَدْنَ الرَّجُلَ الَّذِي يَحْمِلُهُنَّ عَلَى ذِرَاعِيهِ بِرَاضِهِنَّ .

أنجليك : سَيِّدِي الْقَدَامِي عَتَقَ ، وَنَحْنُ أَوْلَادُ الْيَوْمِ ، فَلَا دَاعِي إِذْنٍ لِلْقَهْرِ . إِنَّمَا نَدْرِكُ عَرِيْسًا يَرُوقُ لَنَا وَلَا نَكْرَهُ عَلَيْهِ إِكْرَاهًا . فَصَبِرًا ، أَيُّهَا السَّيِّدُ ، إِنْ كُنْتَ تَهْوَانِي ، فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَرْضَى لَكَ مَا أَرْضَاهُ لِي .

توماس ديافواربوس : نَعَمْ ، آنَسْتِي ، هَذَا جَلَّ مُنْأَرِبِي فِي حَبِّكَ .

أنجليك : أَسْمَى آيَاتِ الْحَبِّ ، النُّزُولَ عِنْدَ آمَانِي الْحَبِيْبَةِ .

توماس ديافواربوس : أَمَيِّزْ ، آنَسْتِي ، فَأَنَا مِنْ حَيْثُ الْمَلِكِيَّةِ مُسَلَّمٌ بِهَا ؛ وَمِنْ حَيْثُ الْكِينُونَةِ رَافِضٌ لَهَا .

تَوَانِيْتُ : عَلَيْكَ بِالْمَنْطِقِ ، سَيِّدِي ، وَلَا حَرْجَ ! خَرَّجْتُهُ الْكَلِيَّةَ حَدِيثًا ، فَلَيْتَ حَرَحَ ، الْبَاقِي عَلَيْكَ ، وَلَا بَأْسَ إِنْ التَّحَقَّقْتَ أَنْتِ أَيْضًا بِجِهَازِ الْكَلِيَّةِ يَوْمًا .  
بَالَيْنَ : لَعَلَّهَا رَكِبَتْ رَأْسَهَا !

أَرْغَانُ : أَرَانِي كَالِهَائِمِ بَيْنَكُمْ ! أَهَذَا إِذْنُ دُورِي ؟

بَالَيْنَ : يَا وَلَدِي ، لَوْ كُنْتُ بَدَلًا مِنْكَ مَعَهَا ، لَمَا غَضِبْتُهَا عَلَى الزَّوْاجِ بَلْ كَانَ لَهَا عِنْدِي الزَّفَّةُ .

أنجليك : سَيِّدَتِي ، أَنَا أَدْرِكُ مَرَامِيكَ وَأَفْهَمُ حَقًّا مَعَانِيكَ وَإِنِّي لِأَتَوَقَّعُ لِنَصَائِحِكَ السَّيِّدَةِ فَشَلًّا رَّبَّمَا ذَرِيعًا .

بَالَيْنَ : إِنَّمَا الْعَاقِلَاتُ الشَّرِيفَاتُ مِنْ أَتْرَابِكَ ، لَمْ يَعْدُنَ إِلَى أَوَامِرِ آبَائِهِنَّ طَائِعَاتٍ صَاغِرَاتٍ ، كَانَ ذَلِكَ مَعْهُودًا ، لِأَيَّامِ غَابِرَةٍ .

أنجليك : لِلتَّحْذِيرِ مِنَ الْفَتَاةِ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهَا ، سَيِّدَتِي ، حَدُودُ فَلَا الْعَقْلَ يَتَدَخَّلُ وَلَا الْقَوَانِيْنَ تَتَطَرَّقُ إِلَى كُلِّ شَارِدَةٍ وَوَارِدَةٍ مِنْهَا وَلَا إِلَى كُلِّ نَافِلَةٍ عَنْهَا .

بَالَيْنَ : يَعْنِي أَنَّكَ مُصَمِّمَةٌ عَلَى الزَّوْاجِ مِنْ عَرِيْسٍ يَكُونُ عِنْدَ حَسَنِ ظَنِّكَ بِهِ .

**أنجليك :** إن مآل والدي، فحال دون زوجي يعجبني أقله لا يرغمني على الاقتران بمن أنا لا أستسيغه، هذا رجائي على الأقل.

**أرغان :** عذراً أيها السادة مما يجري.

**أنجليك :** للزواج مزاج؛ أنا أراه تدبيراً وقائياً، بالتوفيق إلى رفيق الطريق، أغمره بعوارف الحنان والحب، ولغيري أخلاء يخلّون العنان لهنّ بعد تملصهنّ من ربة الأهل. ولسواهنّ الزواج أيضاً تجارة رابحة. حيث لا ينوبهن عليه إلا طمعاً بالمنفعة والإثراء إثر موت أبعالهنّ، ومن بعل إلى بعل يحشدن ما بقي من خيرات على جثمان دون أدنى وازعٍ أو وجدان. فلا يراعين خاطراً ولا يعتبرن قريناً معتبراً.

**بالين :** ها إنك اليوم طويلة الباع في المنطق على ما يبدو لي، فعليّ إذن أن أنطق لأعرف ما وراء الآن.

**أنجليك :** ما عساه يكون ورائي، سيّدي غير ما نطقت ؟

**بالين :** مغفلة أضيق ذرعاً بها، صدّقيني.

**أنجليك :** سيّدي تستدرجني الى المهاترة معها، لكنني أنبئها بفرصةٍ غير سانحة.

**بالين :** وقاحة وجسارة.

**أنجليك :** عبثاً سيّدي، مهما قلت ...

**بالين :** يمرّون بك وأكتافهم دونك تهتزّ، لشّد اعتدادك وسخف صلفك، تنتفض عليك.

**أنجليك :** لا جدوى من كلّ ذلك، سيّدي، فسأبقى صاحبة لك، رغم أنفك، وإراحة لبالك أتواري عن ناظريك ليبقى غلك في قلبك.

**أرغان :** إسمعيني، فلا حلاً وسطاً لك، عيّني زفافك قبل أربعة أيّام، إمّا نزفك الى السيّد، وإمّا إلى الدّير تُهدّيك. ( متوجّهاً الى بالين ) خفّضي عليك، أنا أحسن ترويضها.

**بالين :** عليّ بمغادرتك، يا بنيّ، ففي المدينة ما يستدعيني، وسأعود حالاً.  
**أرغان :** روحي يا روحي، ثمّ عرّجي على الكاتب العدل ليعجل لك ما لا ينفكّ ببالك.

بالين : إلى اللقاء، يا صاح.  
 أرغان : إلى اللقاء، يا صويحبي. هذه زوجة تعشقني ... إنَّ في الأمر لعجباً.  
 السيّد ديافوارايوس : عفوك، أيها السيّد، نستأذّنك بالإنصراف.  
 أرغان : أرجوك سيّدي، حدّثني قليلاً عما يُصيّبي.  
 السيّد ديافوارايوس ( جاساً له نبضه ) : هلّم يا توماس، عليك بذراع السيّد  
 الأخرى، أرنا بدعك في معاينة نبضه، ماذا تقول ؟  
 توماس ديافوارايوس : أقول إن نبض السيّد كخفقان إنسانٍ عليل.  
 السيّد ديافوارايوس : حسناً.  
 توماس ديافوارايوس : إنّه متصلّبٌ أخرى منه صلّباً.  
 السيّد ديافوارايوس : حسناً جداً.  
 توماس ديافوارايوس : إنّه متداخلٌ.  
 السيّد ديافوارايوس : قولٌ مَبيّن.  
 توماس ديافوارايوس : ضاربٌ إلى الرُّحمة.  
 السيّد ديافوارايوس : ممتاز.  
 توماس ديافوارايوس : يغمز من غدده؛ أقصد المראה.  
 السيّد ديافوارايوس : حسناً جداً.  
 أرغان : كلّاً إنّما العلة في كبدي، حسب رأي السيّد بورغون.  
 السيّد ديافوارايوس : أوه، نعم، بقولنا الغدد نعني الإثنين معاً نظراً لتطابق  
 أنبوب الجوف والراحية المعدية السفلى بمشييج السّوداء، لا بدّ أنّه أمرٌ لك  
 بلحم سيّما المشاوي ؟  
 أرغان : كلّاً، ليس إلّا المغالي.  
 السيّد ديافوارايوس : المشاوي منها كالمغالي، نفس الشيء. وما أمرٌ بها إلّا من  
 باب الحيلة والحذر، لا بأس عليك بين أيدٍ أمنيّة.  
 أرغان : كم حبة ملح لبيضة سيّدي ؟  
 السيّد ديافوارايوس : ستّ، ثمانٍ، إجعلها عشرَ حباتٍ؛ عدداً شفعاً. لا إسوةً  
 بحبات العلاجات بل على خلافها؛ أعداداً وتريةً.

## المشهد السابع

بالين، أرغان

بالين : عدت أدراجي، لأحيطك علماً بأمر تتنقّز منه. فلدى مروري بحجرة أنجليك، ألفت معها شاباً، أوّل ما رأيته، ولّى مُدبراً.  
أرغان : مع ابنتي شاب ؟  
بالين : نعم، إبتك الصّغرى أيضاً كانت هناك، لعلّ لويزون تزودك إذن بأخبارها.  
أرغان : نادية لي، أرسلها يا حُبّي، يا للوقة لم أعد أستغرب عنادها !

## المشهد الثامن

لويزون، أرغان

لويزون : ما بك، يا بابا ؟ قالت لي خالتي، أنّك في طلبي !  
أرغان : نعم، تعالي، قربي دوري، عليّ عينيك، تفرّسي فيّ أوه !  
لويزون : ما بك، يا بابا ؟  
أرغان : هكذا ؟  
لويزون : ما بك ؟  
أرغان : لا شيء عندك تروينه لي ؟  
لويزون : بلى؛ حكاية « فروة الحمار » أو مثلاً حفظته منذ حين لمؤانستك :  
« الغراب والثعلب ».  
أرغان : ليس هذا ما أنا في طلبه.  
لويزون : ماذا ؟ إذن ؟  
أرغان : يا للمحتالة، تعلمين تماماً ما أريد سماعه.  
لويزون : عفواً، بابا !  
أرغان : أهذه طاعتك لي ؟



لويزون : فيم ؟ ألبيك !  
أرغان : في ما يخصّ تقصّي الأخبار، كلّما تسنّى لك كما أوصيتك أنا !  
لويزون : لبّيك، بابا !  
أرغان : هلاًّ أطلعتني عليها ؟  
لويزون : أجل، يا بابا، كنت ألقمك إياها حالما يقع عليها نظري.  
أرغان : أما وقع نظرك اليوم، على شيء يذكر ؟  
لويزون : يا بابا، لا شيء يذكر !  
أرغان : هُكذا حقّاً.  
لويزون : هُكذا حتماً.  
أرغان : هُكذا إذن، لعلّي أذكره لك أنا.  
( يتناول حزماً من العصي ).

لويزون : أوّاه، يا بابا !  
أرغان : أو تكتمين عني، يا عفريتة، مشاهدة الشاب داخل غرفة شقيقتك.  
لويزون : أوّه، يا بابا !  
أرغان : هذا يعلمك الخداع.  
لويزون ( جاثية ) : أوّه، سامحني، يا بابا، أختي منعتني من الوشاية إليك لكني سأروي كيت وكيت ... كاملاً.  
أرغان : الجلد أولاً، لكذبك، بعده البقيّة تأتي.  
لويزون : عفوك، بابا، سامحني، يا بابا.  
أرغان : لا، كلّاً.  
لويزون : لا تجلدني، أعف عني، مسكين أنت، يا بابا.  
أرغان : لا مناص منها. خذوها مني.  
لويزون : رفقاً بي، بالله عليك !  
أرغان ( يمسكها ليجلدّها ) : هيّا هيّا.  
لويزون : مهلاً أوّاه، يا بابا، قد أدميتني، أنّي أهلك ( تتظاهر بالموت ) لقد هلكت.  
أرغان : أوّاه ما حلّ بك، أوّه لويزون، لويزون، ربّاه لويزون، واحسرتاه ابنتي،

واتعساه بنتي المسكينة ! ماتت ! ماذا فعلت بها أنا الشقي، أواه ! أواه ! لعنة  
الله على القضبان، لها الويل، أواه يا ابنتي المسكينة، بنتي التعيسة، لويزون.  
لويزون : ها ها ها، يا بابا، لا تذرف الدموع الحرى فأنا لم أمت تماماً !  
أرغان : أرايتم هذه المحتالة الصغيرة ؟ أسامحك هذه المرة إن سردت عليّ  
الأمر بحذافيره.

لويزون : نعم وهو كذلك.  
أرغان : إحدري جيداً إصبعاً عندها كل الأخبار، ولسوف تفضحك كلما  
تعتّرت أو كذبت.

لويزون : أخبرك، فلا تشـ بي لأختي !  
أرغان : لا، كلاً.

لويزون : ثمة، يا بابا، فتى حضر إلى غرفة شقيقتي أثناء وجودي فيها ...  
أرغان : حسناً ؟

لويزون : سألته عمّ يسأل، قال إنه معلّم الموسيقى للشقيقة.

أرغان : زه زه، تلك قصّته إذن، حسناً وبعد ؟

لويزون : بعده وصلت شقيقتان.

أرغان : حسناً من بعده ؟

لويزون : صاحت به أختي: « أخرج أخرج أخرج، يا الهي أخرج، إنك هكذا  
تخرجني ».

أرغان : حسناً بعده؛

لويزون : أمّا هو فلم يرد أن يتزحزح.

أرغان : بماذا كان يحدثها ؟

لويزون : كان بثّتي الأمور، يحدثها ... من أين لي أن أعرف ؟ ...

أرغان : وماذا أيضاً ؟

لويزون : ... كيت وكيت ... قال يعشقها، قال إنها أحلى الناس في ...

أرغان : ثمّ ماذا ؟

لويزون : ثمّ جثا على قدميها ...

أرغان : ثمّ ماذا ؟

لويزون : يلثم يديها ...  
 أرغان : ثم ماذا ؟  
 لويزون : ثم الخالة مثلت بالدار فولّى الإِدبار.  
 أرغان : لا شيء غيره ؟  
 لويزون : لا شيء بابا.  
 أرغان : هوذا الأصبع الصغرى تهمس في أذني ( يضع إصبعه عند الأذن ) : مهلاً مهلاً، نعم آه، ها؛ نعم آه إنها تلمح إلى أشياء شاهدتها ولم تعلميني بعد بها ! ...  
 لويزون : أف، يا بابا، إصبعك الصغرى كذّابة، يا بابا.  
 أرغان : حذار !  
 لويزون : كذّابة، يا بابا، لا تصدّقها هي كذّابة.  
 أرغان : آه، طيّب، سنرى ذلك، انصرفي وتسقطي لي كلّ شاردة ...  
 إنطلقتي ...  
 حسبنا الطفلة ذهبت ... خلا الجو والمشاكل تتراكم؛ ويضيق بي الوقت ولو لبعض شأنِي. لم أعد أستطيع الاحتمال.  
 ( يستوي في مقعده )

## المشهد التاسع

بيرالد، أرغان

بيرالد : إيّه، أخِي، ما بك، كيف الحال ؟  
 أرغان : أوّاه، شقيقي، على أنحس حال.  
 بيرالد : أنحس حال ؟ وهل هذا بالبال ؟  
 أرغان : أجل، في حالة من الوهن تجاوزت المعقول.  
 بيرالد : مسألة بها تستدر الشفقة.  
 أرغان : خاتنتي قواي، ما أشقاني ! فقد أعياني حتى لساني.

بيروالد : قصدتك، يا أخي، بنصيب أعرضه عليك لابنة أخي؛ أنجليك.  
أرغان ( يقوم من مقعده مغضباً ) : دع الكلام، شقيقي، عن هذه الوقعة، المحتالة  
النزقة المشاغبة، أزعجها في الدير قبل انقضاء اليومين.  
بيروالد : حسناً، حسناً لقد ارتحت الى حيويتك، فزيارتي نفعتك. نحّ همومك  
عنك، يا أخي وافتح قلبك للسلوى وشرح صدرك ليصفو ذهنك تمهيداً  
لمعالجة شؤوننا سوية بتؤدة لذلك، يا أخي، سقت إليك زمرة مصارّ صادفتهم  
بأزياء المغاربة همهم الرقص والغناء ولن تعتم أن ترتاح إليهم كثيراً في مشاهدتهم  
ارتياحك الى وصفة يصفها لك السيد بورغون. هلموا بنا...

## الفصل الثالث

### المشهد الأول

بیرالد، أرغان، توانیت

بیرالد : إذن، یا أخي، ما رأيك فيها، أليست بمثابة شطفةٍ من شطفات القرفة ؟  
توانیت : شطفةٌ من باب أوّل البابات !  
بیرالد : والآن أين نحن بأيّ طرفم من أطراف الحديث ؟  
أرغان : مهلاً رويدك، شقيقي ريثما أعود.  
توانیت : هاك سيدي، ألا تظن أنك بدون عكازٍ لا تسير.  
أرغان : الحقّ معك.

### المشهد الثاني

بیرالد، توانیت

توانیت : من فضلك، لا تتغافل عن شؤون بنت الشقيق !  
بیرالد : أبذل قصارى جهدي، لتحقيق مناهيها.  
توانیت : تفادياً لزواج متهوّر، عند نزوته، هو، رحت أحدث نفسي عن طبيبٍ  
يناسب ويناصرنا نحن على سيده بورغون علّنا به نسوّد صفحته ونثير اشمئزازه

عليه، ولعسر إعداد مثل هذا الشخص عوّلت أن أَلعب الدور على كفّالتي أنا.  
بيرالد : كيف يكون ذلك ؟  
توانيت : نتركه رهن الصدف، مخيلةٌ تصوّر، وفطنةٌ تدوّر دعنا؛ أنا أتصرّف  
وأنت تتحرّك. هوذا صاحبنا يطلّ علينا.

## المشهد الثالث

أرغان، بيرالد

بيرالد : لعلّي، يا أخي، ألتمس منك أوّل ما ألتمس، إن شئت ألاّ تستسلم  
للغيظ فيما نتحاول بيننا !  
أرغان : قضي الأمر.  
بيرالد : وألاّ تتبرّم امتعاضاً منّي جواباً على ما سأعرضه عليك.  
أرغان : نعم.  
بيرالد : وأن نعمل معاً الرويّة في شؤون نتداولها بروحٍ منزهة عن كلّ نزوة.  
أرغان : ربّاه، طيّب. كفّك تمهيداً.  
بيرالد : يا أخي، وأنت ما أنت عليه من بحبوحهٍ، وما حيلتك سوى بنتٍ، إذا  
ضربنا صفحاً عن الصّغرى، فمن أين لك، إذن، هذا اللّغط عن إقحامها في  
دير ؟  
أرغان : من أين لي، شقيقي، أن أكون السيّد المطلق أعمل ما أراه خيراً  
للأسرة ؟  
بيرالد : هكذا إذن لا تنفكّ المصونة تحرّضك للتّخلي عن الابنتين ! لا شكّ  
أنّ روح المحبة تنهّز أعطافها طرباً لرؤيتهما راهبتين نصوحتين !  
أرغان : هكذا إذن توصّلت إلى إقحام السيّدة المسكينة، حتى باتت هي أصل  
البلاء، وعليها نقمةُ الجميع !  
بيرالد : كلّاً، يا أخي، ما لنا ولها، فخير نواياها مسلّطة على أفراد الأسرة، فهي  
بنزاهةٍ مجرّدة من كلّ مصلحة ذاتيّة تغمرك بعطف عجيب غريب، وتطوّق

الابنتين بلطفٍ وحنانٍ يفوقان الإدراك. الأمر مفروغ منه. دعنا منها، ولنعد الي  
سيرة البنت؛ فعلى أيّ بُنى، يا أخي، تريدها زوجةً لطيبٍ ابن طيب ؟  
أرغان : تحققاً لفكرة طرأت لي زينتُه لي صهرأ حسب الطلب.

بيرالد : ثمة نصيبٌ، يا أخي، أصلح لابنتك، بينما هذا لا يناسبها البتة !  
أرغان : بلى، هو الأنسب عندي، يا شقيقي،

بيرالد : أمن المفروض في العريس أن يكون لك أو لها، يا أخي ؟  
أرغان : يكون لي، شقيقي، ولها، ولقد عقدت النية لأحشدن في أسرتي، كل  
الذين أفتقر إليهم أنا.

بيرالد : وهلّم جراً ... فلو الصغيرة كبيرة لزوجتها إذن من الأجزاء ؟  
أرغان : ولم لا ؟

بيرالد : أمن الممكن أن تمسي بالصيادلة وبالأطباء مولعاً لتمرّض رغم أنوف  
الناس وغصب الطبيعة ؟!

أرغان : ماذا تقصد، يا شقيقي ؟  
بيرالد : أقصد، يا أخي، أنني لا أجد أمراً مثلك تبرأ من العلل، فإنّي لا أتمس  
لنفسي أعفى من عافيتك، ودلالةً على سلامة صحتك واستحكام خلقتك، أنك  
مهما عالجت نفسك تقصّر عن إزعاج مزاجك دون قصع شبابك، وها أنك  
لم تنشقّ بعد رغم كثرة الشطّفات التي مارسوها عليك.

أرغان : ألا تدري، شقيقي، أنني بها أحافظ على رشاقتي وعلى رأي السيد  
بورغون؛ إنّي لولاها لهلكت في اليوم الثالث ؟

بيرالد : حذار منه، وإلا صبّ عليك جام حرصه وأرسلك الى العالم الآخر.  
أرغان : دعنا، شقيقي، نتروّ بعض الشيء، ألا تثق بالطب قليلاً ؟

بيرالد : أبداً مطلقاً، يا أخي، ولا أخال سلامتي متوقفةً على هذه الثقة.  
أرغان : ماذا ؟ أتستنكر أمراً يقدره كلّ الناس ؟ وكلّ العصور تعتبره حقيقةً  
راهنةً.

بيرالد : لست بحاجة ثقتي فحسب بل أجد الطبّ أفدح الحماقات بين  
الملا، ولا أرى أسخف منه مهزلةً ولا أدنى من امرئ راح يتطفّل على امرئ  
لشفائه، سيّما اذا نظرنا اليه نظرةً فلسفيةً.

أرغان : لماذا، يا أخي، لا تتوخى شفاءً من مرءٍ لمرءٍ ؟  
بيرالد : إستناداً الى دواخل طبعنا الذي تكتنفه الأسرار والمعميات، حتى أيماننا  
هذه، فلا الناس يوقفون إلى اليسير اليسير منه ولا الطبيعة تنفرج لهم عن  
ستائر الكثيفة للأخذ من العلم ولو بطرف ضئيل.

أرغان : يعني، أن الأطباء، في نظرك، إنما يهرفون بما لا يعرفون.  
بيرالد : تماماً، يا أخي، أولاء الآخذون من كل حرفٍ بطرف، من اللاتينية  
القانونية، الى اليونانية الطبية تسميةً للعلل وتحديدات وتصنيفاً لها ما عدا التداوي  
بها؛ فإنهم في منأى بعيد عنها.

أرغان : ... طالما نحن متفقان على حسن دراية النطاسيين وبراعتهم في هذه  
الأمر، أكثر من غيرهم ... فلا بأس عليهم.

بيرالد : كما نوهت لك بمعارفهم إنها لا تُغني عن وعكة ولا تُغني فيلاً؛  
وليس من فضلٍ لتطسّهم إلا بعباراتٍ عويصة طئانةٍ وزمزماتٍ مدبجةٍ تنشر  
المسببات كلاماً عديداً، والمسببات مواعيد.

أرغان : حسناً، يا شقيقي، ثمة خلق لا يقلّون عنك لا فطنة ولا دهاء، وعند  
العلّة يرتدون الى الأطباء شأنهم شأن كل بني البشر.

بيرالد : تلك أُمائر الضعف البشري، لا الشهادة لهم على صدق فتهم.

أرغان : علّهم لا يرتابون يوماً في صدق فتهم، فيما يمارسون على ذواتهم.

بيرالد : لعل في ظهرائهم من يستفيدون من انجرائهم في تيار شعبي عارم، مع  
أن غيرهم ما عدّموا الفائدة المتوخاة دون أن ينغمسوا فيه بالضلال. هاك السيد  
بورغون مثلاً. هو على غلاظته نطاسي من أم رأسه الى أخامص قدميه وله  
ركزات يركز اليها أكثر من قناعات رياضية يبرهن لها، والعجم كل العجم،  
الطعن في الطب، حيث لا غموض ولا شك ولا عسر فيه. بل بلباقة الإستدراك  
وتلافيف الأمور، يتزعزع ثقة ويسمج ذوقاً ورأياً في معالجاته. مسهلات البطن  
وتفصّد الدم دون أن يقيم حضرته أدنى وزن لهما. فلا ضير عليه ممّا يصيبك  
منه إنّه بأضعف الإيمان، ينفض يديه منك، ولا بأس عليك إن وقعت ضحية له  
في ما زوجته وأولاده وقعوا، وحتى هو نفسه إذا لزم الأمر يقع ولا شك.



أرغان : هذا لأنك تحقد، منذ نعومة ألسان الحليب عليه. فما ترى، حيلة المريض معه لعمرى ؟

بيرالد : لا شيء، يا شقيقي.

أرغان : لا شيء ؟

بيرالد : لا شيء، البتة؛ الإخلاء إلى السكون أولى؛ فالطبيعة من تلقاء نفسها تتكفل بتنظيم الفوضى الطارئة، كلما تركناها وشأنها. إنما القلق وقلة الصبر مدعاة للإضطراب. فمعظم الأنام لا يهلكون بالعلل بل بعقاقيرهم.

أرغان : نحن متفقان، يا شقيقي، طالما نهب لإسعاف الطبيعة في شتى الأمور، ونساندها.

بيرالد : رباه، كم من رأي نلوكه في سرنّا، يا أخي، فالبشرية لا تُعَدَم من مخيلات فتانة، تخلب لبنا، تتملقنا وكانت سراياً. إسمع نطاسياً يحدث عن مساندة الطبيعة بازالة ما يعيها، وترجيح ما ينقصها، لتنظيمها، بإعادة نشاط وظائفها فلا حرج عليه إن ذكر لك سدّد الدّم، وتلطيف جوّ الأحشاء، والدماغ وتفرغ الطّحال، والتّام الصدر، وترميم الكبد وإنعاش القلب، وضبط الحرارة الطّبيعية، والمحافظة عليها والتلاعب بأسرار تمديد الرّمق الأخير إلى سنين مديدة؛ تراه؛ يسرد عليك سيرة الطبّ في طرفة عين، وعندما يصبح الصّحيح ويأزف أوان الاختبار لا تختبر شيئاً منها. كأنّها أحلامٌ رائقة لا تخلف لك في اليقظة سوى غصّة انطلاء الحيلة عليك.

أرغان : في رأسك معارف الدنيا لتنافس نطاسيّ زماننا العظام ؟

بيرالد : عظماء خطابة، بلهاء طبابة إلى فئتين : أبرع النّاس هذراً، وأحمقهم خبيراً. هؤلاء هم أعظم النّطاسيين في نظرك.

أرغان : إيه منك، أراك علامة جهيداً ! ليتهم فاجأوك بسيدّ من سادتهم، إذن لسّفّوها تفكيرك وخفّفوا من غلوائك.

بيرالد : لا، يا أخي، ما أخذت على عاتقي مناوأة أولاء السّادة الأطباء، كلّ وشأنه، إن سعداً وإن نحساً؛ إنّه مجرد حديث في سرنّا لا يذاع. إنّما توفيراً للتسلية عليك، وتنقيساً لكربتك، تمنيت مرافقتك إلى ملهاة مولير تتفرّج بها، في موضوع كهذا حرفياً.

أرغان : ممثّل وقح في هزليات سمجة، لا أجّد موليراً إلّا ألعوباً ساخرأ، في تقليده أّوار أولاء الحكماء الأشراف.

بيرالد : إنّه لا يتقلّد الأطباء بالذّات بل يسفّه سخافتهم.

أرغان : شأنه التندّر على الطّبّ والتطبيب، يا له من مغفل وقح يتناول الشّخصيات والوصفات بالسخرية متحدّياً الجسم الطّبيّ فهو لا يبرح يتمادى على مسرحه مجرّحاً الشّخصيات الأمائل على شاكلة هؤلاء الأسياد !

بيرالد : وما عساه يتناول غير تفاوت المهن بين الناس ! لقد شعبنا ماّ يعرض يومياً من أمراء وملوك هم أيضاً من سلالات عريقة على شاكلة الأطباء.

أرغان : أعوذ بالله... أعوذ بالله من الشّيطان، لو أنّي بدل الأطباء إذن لانتقمّت من سماجته؛ أتوقّع له أن يعتلّ، ومتى فعل، أتركه يفتّس دون أن أمّد له يد المعونة. ومهما تودّد وأطلق من طرف اللسان حلاوة، ما وصفت له أدنى فصيدة عرق، أو شطفة معدة، بل أصرخ به: « ليتك تنشقّ وتفزر، هذا يلقّنك درساً في التّمثيل على حساب الطّبّ ».

بيرالد : ها إنّك تستشيط غضباً عليه !

أرغان : نعم، وما على الأطباء، إن كانوا حكماء، سوى أن يتقيّدوا برأيي فيه، فهو رجل، « ابن الهلاك ».

بيرالد : لكنه أحكم من كافّة حكمائك على ما يبدو ولن يمدّ يده نحوهم أو يستنجد بهم، ولا مرّة.

أرغان : إن أدار وجهه عن الاستشفاء، فلسوء حظّه.

بيرالد : عذره في الحرمان؛ اقتناعه من أنّ للأقوياء الأصحاء وحدهم الحقّ على التداوي لتمتّعهم بقوة احتمال الأدوية مع معاناة المرض، أمّا هو فإنّه يكاد يطبق مرضه، فكيف إذا كان معه الدّواء ؟

أرغان : ما هذه سوى أّعذار أقبح منها ذنباً. حسبك، يا شقيقي، دعنا من هذا الرجل، الحرارة آخذة بالمرارة، وأنّت السبب في تفشّي وجعي.

بيرالد : أجل، ما لنا وله، يا أخي، وتغييراً لمجرى الحديث أقول لك : « إنّك لست مرغماً على زجّ بتك في دير، من أجل ما بدر منها من تبرّم بأوامرك؛

ولا ينبغي لك التّغاضي، بمجاراة نزوتك، عن مراعاة هواها، لأنها مسألة حياة تناط بها سعادة الزّواج .»

## المشهد الرابع

السيد فلوران ( بيده الحقنة )، أرغان، بيرالد

أرغان : عفوك، شقيقي !

بيرالد : ما بك، ماذا تفعل ؟

أرغان : أهمّ بشطفة صغيرة، في طرفة عين.

بيرالد : ما هذا العبث ! ألا تستغني لا عن شطفةٍ ولا عن علاجٍ لبرهة، أرجئها الى مرّة ثانية، ألا رويدك، توحّ الراحة.

أرغان : عمّ مساءً، أيّها السيد فلوران، أو الى الغدّ في غير آن.

السيد فلوران ( إلى بيرالد ) : أتمنع في إجراء الوصفات الطّبيّة، وتمنع السيد من غسلةٍ أشطفه بها ؟ إنّها لدعابةٍ جسورةٍ من طرفك !

بيرالد : إليك عتّا، أيّها السيد، من الواضح أنّك لم تعتد الحديث الى الوجوه.

السيد فلوران : لا عبثاً بعلاج، ولا تبديداً لوقتي، أنا ما حضرت إلا تنفيذاً لأوامرٍ مشدّدة. وسأبلّغ السيد بورغون أنّه جيّل، بيني وبين تنفيذ الأوامر، وتأدية الوظيفة، وقد أُعذّر من أنذر.

( ينصرف للحال ).

أرغان : ستكون، شقيقي، علّة شرّ مستطير.

بيرالد : حقاً، يا أخي، إهمال حقنة السيد بورغون، هي أفدح الشرور !؟ أحقاً، عُدمت أيّ وسيلةٍ لشفائك من علّة الأطباء ؟ أم يطيبُ لك أن تبقى،

عمرك، مدفوناً في عقاقيرهم ؟

أرغان : ربّاه، شقيقي، كلامك كلام صاحب صحّةٍ وعافية، فلو كنت بدلي لبذلت كثيراً من لهجتك، من السّهل التهجّم على الطّبّ بينما الصّحيح يرفل بقميص العافية.

بیرالد : بحقّك ما هي علّتك ؟  
أرغان : إنك هكذا تثير حفيظتي، ليت مصيبتني مصيبتك؛ لنرى بعدها، مدى  
هرجك ومرجك ! إيه هوذا السيّد بورغون آتياً بنفسه.

## المشهد الخامس

السيّد بورغون، بیرالد، أرغان، توانيت

السيّد بورغون : أنبت ثمة أنباء سارة، عند الباب، مفادها أنّ صفاتي عندكم  
هزأة، والموصوف من عقّاري، منبوذ ههنا.  
أرغان : أيّها السيّد، ما هو إلّا ...  
السيّد بورغون : هي الجسارة بعينها، مريض يشقّ عصاً الطّاعة على طبيبه، يا  
للعجب !

توانيت : يا للفضاعة ؟!

السيّد بورغون : لغسولٍ مكيفٍ على كفي، وهو من صنع يدي.  
أرغان : ما أنا بـ ...  
السيّد بورغون : مؤصّل على الأصول فتيّاً، غسول، مشغول، محلول ...  
توانيت : الحقّ عليه.  
السيّد بورغون : من شأنه أن يفعل فعلته الحسناء في الأحشاء.  
أرغان : إنّه شقيقي.  
السيّد بورغون : وفي إخلاء سبيله ازدراء به.  
أرغان : إنّه، هو.

السيّد بورغون : فظاعة !

توانيت : هذا الصحيح.

السيّد بورغون : دسيّة على الطبّ عظيمة.

أرغان : هو العلة ...

السيّد بورغون : جريمة استهتار بالكلية الطّيبة، ولا عقاب يفي بالاعتصاف  
منها ...

توانيت : الحقّ معك.  
السيد بورغون : ها إتي، على رؤوس الأشهاد، أجاهر بقطع العلاقة بك ...  
أرغان : ذاك شقيقي.  
السيد بورغون : إتي، أستكف عن شدّ أواصر المصاهرة معك.  
توانيت : حسناً تفعل.  
السيد بورغون : ومن أجل فصم كلّ الأواصر، هاك وصرّاً رصدته لزواج ابن شقيقي.  
( يمزق صكّ الهبة بكلّ حدة ).

أرغان : شقيقي أصل البليّة.  
السيد بورغون : استهتار بالحقّة.  
أرغان : عليّ بها، إستدعه ليعطينها.  
السيد بورغون : كنتُ عَمّا قريب، أخرجتك من ورطتك.  
توانيت : إنّه غير جدير بها.  
السيد بورغون : أوشكت أن أنظّف بدنك، مطلقاً أخلاطه العفنة للخلاص منها لمرّة.  
أرغان : آه منك، شقيقي !  
السيد بورغون : ذرّينة توضعّات بعد، لأسلّطة دُؤارة جوفك من قعرها.  
توانيت : غير جدير بعنايتك.  
السيد بورغون : لكّنك حيث أبيت الشّفاء، عن يدي ...  
أرغان : ليست غلطتي.  
السيد بورغون : وحيث شقيّت عصا الطاعة عن طبيبك ...  
توانيت : هذا يستصرخ الإنتقام ... الإنتقام.  
السيد بورغون : وحيث أعلنت العصيان على العقاقير المعيّنة ...  
أرغان : لا، أبداً.  
السيد بورغون : قلتُ أخليّك معطوباً في بنيةٍ رديّةٍ، وأحشَاء مضطربة، ودم متقدّر، ومرارةٍ محتدمةٍ، ومزاجٍ عكر ...  
توانيت : هذا أفضل من رعايتك له.

أرغان : ربّاه !  
السيد بورغون : لعلّي قبل انصرام أيّامك الأربعة، أخليّك في حالةٍ يُرثى لها.  
أرغان : أوّاه، رحماك !  
السيد بورغون : أتركك فريسةً لعملية هضمٍ سقيمة.  
أرغان : سيّدي بورغون !  
السيد بورغون : ومن هضمٍ متقطّعٍ سقيم، الى انقطاع هضمٍ ذميم.  
أرغان : سيّدي بورغون !  
السيد بورغون : ومن إسهالٍ وخيم، الى استطلاقٍ مُديم.  
أرغان : سيّدي بورغون !  
السيد بورغون : ومن استطلاقٍ مُديم، الى زحارٍ لئيم.  
أرغان : سيّدي بورغون !  
السيد بورغون : ومن زحارٍ لئيم، الى موتٍ زؤامٍ أليم، الى حيث يُفضي بك جنونٌ رجيم.

## المشهد السّادس

أرغان، بيرالد

أرغان : أوّاه، ربّاه، لقد هلكت، شقيقي أنت أجهزت عليّ.  
بيرالد : ما بك ؟ ما الأمر ؟  
أرغان : لم أعد أطيع الاحتمال، هوذا الطّبُ آخذٌ بالتشقيّ منّي، الويل لي.  
بيرالد : إنّك وآيم الحقّ، يا أخي، إنسانٌ مخبولٌ، ثمّةُ أمورٌ، وأمورٌ تمارسها أنت، أو يمارسونها عليك. لا تروقني فيك. جُسس نفسك قليلاً، أرجوك تمالك روّعك، ولا تشرد هكذا سارحاً بمخيلتك.  
أرغان : رأيّت، يا شقيقي، كم تهدّدني بالويل والتّبور وعظائم الأمور ؟  
بيرالد : يا لك من إنسانٍ قصير الإدراك !  
أرغان : زعم، يا شقيقي، أنّه سينفض يده منّي قبل الأيام الأربعة !

**بيرالد :** وما عساه يبلغ بك زعمه ؟ أمن شفتيه مهبط الإلهام، يخيّل إلى سامعك أن السيّد بورغون، بسلطته المطلقة يقبض بيديه على شبكة أيامك، يمتطها أو يصرّها على هواه تصوّر أنّ مقاليد عمرك منوطّة بك، وحدك، وأنّ غيظ السيّد بورغون مهما استشاط عليك يعجز عن صرّك كما يعجز عن برّك فإذا رمت التملّص، من ربة الأطباء تذرّع بهذه الحيلة، ما لم تكن ولدت؛ ومقاليد أمرك في أيديهم، يمكنك والحالة هذه أن تلتحق، يا أخي، بآخر غيره لا يورّطك هذه الورطة.

**أرغان :** أوّاه، شقيقي، هو بدخيلة طبعي أدرى وبسياسة أمري هو أعلم.

**بيرالد :** لا بدّ لي من الإفراق بسرعة جسّك المدهشة وبصدق فراستك، باستشفاف الأمور العجيبة الغريبة.

## المشهد السابع

توانيت، أرغان، بيرالد.

**توانيت :** سيّدي، بالباب طيّبّ يلتمس الدخول عليك.

**أرغان :** من الطبيب ؟

**توانيت :** نطاسيّ متنطسّ.

**أرغان :** أسألك من تريته يكون ؟

**توانيت :** لست أعرفه، بيد أنّنا نتشابه كنقطتين ولولا المصونة لقلت إنّه شقيق صغير شقّته لي الوالدة منذ غيبة الوالد.

( هنا تخرج توانيت )

**بيرالد :** خدمة غبّ الطلب؛ طيّبّ يفارق، وآخر يوافق.

**أرغان :** أحشى من علّة شرّ مستطير.

**بيرالد :** لقد عدت إلى نفس النعمة: « الشرّ المستطير ».

**أرغان :** تجدني مطموراً بشتّى العلل، وهي لا تنفك تتقاذفني... ذلك...

## المشهد الثامن

توانيت (متكّرة كطبيب)، أرغان، بيرالد.

توانيت : إنّ سيّدي، يتفضّل عليّ، بقبول زيارتي له، لعليّ أبذل نفسي لقضاء حاجاته الماسة؛ من فصدٍ إلى شطفٍ...

أرغان : عليّ سيّدي فضلك العيم. لعيمري ما هو إلّا توانيت بالذات.

توانيت : عفوك سيّدي، سأرجع لعيادتك ريثما أسند مهمّة نسيّتها لخادمي، إلى اللّقاء.

(تنصرف توانيت على الأثر).

أرغان : إيّه ! بداهة، ألا يترأى لك أنّه توانيت حقّاً.

بيرالد : صحيح، الشبه كبير، وغالباً ما نعهده في القصص التي لا تغصّ إلا بمثل أفانين الطّبيعة هذه.

أرغان : من جهتي لقد تملكنتي الدهشة فحيرتني...

## المشهد التاسع

توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت (وقد خلعت ملابسها الطّيبة بسرعة خاطفة. يصعب معها التصديق بأنّها هي التي ظهرت بمظاهر الطّيب) : أمر سيّدي.

أرغان : كيف !

توانيت : أما ناديتني ؟

أرغان : أنا ؟! كلّاً.

توانيت : هذا إذن هدير التّفير في أذني، يهتف لي ويدقّ لي.

أرغان : مهلاً، ريثما ترين كم الطّبيب يشبهك.

(وهي منصرفة) : آه، حقّاً، ثمة لي شغلّ شاغلّ، أنا عايته طويلاً.

أرغان : لو آتني لا أعاينها فردّة مرّة، لقلت؛ إنّهما فردان وفرد.



بيرالد : كم طالعتني، المذهلات المدهشات، في مطالعاتي عن مثل هذه المحاكاة، وما عهدناها من مضاهاة في زماننا، قد انطلت على الجميع.  
أرغان : وكادت أن تنطلي عليّ، وكدت أقسم أنّه نفس الفرد هو هو بعيونه.

## المشهد العاشر

توانيت ( متكرّة بزّي طبيب )، أرغان، بيرالد.

توانيت : سيّدي، التمس عفوك، من صميم فؤادي.  
أرغان : إنّ في الأمر لعجباً.  
توانيت : من فضلك، لا تمتعضنّ من فضولي في زيارة مريض، ذائع الصيت نظيرك، إن شهرةً طبّقت الآفاق، عذرٌ لي، في حريّة التصرّف.  
أرغان : جُعِلْتُ أجيرك، سيّدي.  
توانيت : أراك، سيّدي، تحمّل فيّ مليّاً، كم هو عمري برأيك ؟  
أرغان : تناهز السادسة أو السابعة والعشرين باعتقادي ... أو تكاد.  
توانيت : آه ها، ها، ها، عمري تسعون سنة.  
أرغان : تسعون ؟  
توانيت : هوذا بعينك، تعاین أفانين فتيّ عليّ، محافظةً على نضارتي. وفتوتي ومتانتي.

أرغان : لعمري، هوذا شابٌ وسيّم، عجوزٌ في التسعين !  
توانيت : طبيب متجوّل، من مدينة الى مدينة، من إقليم الى إقليم ومن مملكة الى مملكة، وما ذلك إلّا التماساً لمواد طبيّة على المستوى، رهن بدعي، تفتيشاً عن سقماء جديرين باهتمامي، أهلٍ لممارسة ما وُفِّقْتُ إليه من الطبّ، لأسرار بديعة عظمى، وإني لأربأ بنفسي أن أتلهى بأمراضٍ كهكذا يسيرة مبتذلة، من عصبي تافه، إلى ربو سخيّف... من حُميّة إلى أبخرةٍ إلى صداعٍ، إنّما أتوخّى العللَ الفادحةَ والحميّات السخينة المستديمة، مع هذيان في الدماغ، حميّاتٍ حمراءَ رمضاءَ طاعوناً طاعناً، وزحاراً حاراً، ونزلاتٍ

نزلاء، مرفقةً بالتهاب صدريّ متعاطم، فهناك أنا المجليّ في ذاك المضمار،  
ونعم الأيدِ لي.

أريدك إذن متحلياً بكلّ البلايا التي ذكرت وأن يكون الأطباء؛ جميع الأطباء،  
قد نفصوا منك يديهم وأن تكون أنت في احتضارٍ يائسٍ لأبين لك حينئذٍ  
فضلَ علاجي، وأستشهد على صدق الولاء في خدمتك ...

أرغان : كم تراني مديناً لك، سيدي لأفضال ستطوّقني بها ...  
توانيت : أرني مجسّك، هات لي نبضاً خالصاً، أرني لأريك، إني، اللوم كل  
اللوم على نبضٍ مختلٍ أرى أنّك لم تعرفني بعد، من هو طبيبك ؟  
أرغان : هو السيّد بورغون.

توانيت : ذلك، المرء، غير واردٍ في سجلاتِ عظامِ التّطاسيين عندي، وممّ  
يزعم لك أنّك تشكو ؟

أرغان : هو قال الكبد، وغيره الطّحال.

توانيت : طُعماً، جهالاً؛ علّتك من الرّئة.

أرغان : من الرّئة ؟

توانيت : أجل، وبم تشعر ؟

أرغان : بصدايحٍ متناوبٍ.

توانيت : بالضّبط من الرّئة.

أرغان : أشعر بغشاوةٍ على العينين، حيناً.

توانيت : من الرّئة.

أرغان : وأحياناً أشعر فأداً في الفؤاد.

توانيت : من الرّئة.

أرغان : أشكو استرخاءً بالأطراف، حيناً.

توانيت : من الرّئة.

أرغان : وحيناً، جُساداً، كأثّة المغص في البطن.

توانيت : من الرّئة، أما من قابليّة، بتناول الطعام ؟

أرغان : بلى سيدي.

توانيت : من الرّئة، وبارتشافك الخمرة ؟

أرغان : بلى سيدي.

توانيت : من الرثة، إثر الوجبة، تشعر بنعاسٍ إنعاماً لعينيك فينطبق جفناك،  
وحضرتك رضيّ رخيٍّ وبمٍ يخلل عليك الطيب، بالحمية ؟

أرغان : يتخللها الحساء، كما يشير عليّ.

توانيت : جاهل.

أرغان : الفراخ.

توانيت : جاهل.

أرغان : العجل.

توانيت : جاهلاً.

أرغان : المغالي.

توانيت : جاهل.

أرغان : المقالي؛ بيضاً طازجاً.

توانيت : جاهل.

أرغان : الخوخ المطبّخ المجفّف، مساءً للإسهال.

توانيت : جاهل.

أرغان : لا سيّما الخمرة الحمراء مشوبةً بالماء.

توانيت : مَجْهَلَةٌ، مُسْتَجْهَلٌ، جَهُولٌ.

عليك بالخمّر صرفاً، تكثيفاً لنجيع سيّالٍ، إستساعةً بعجلٍ مسمنٍ، وخنزير  
دسم. من الجبنة، خذها هولندية. تناول البرغل بالأرز وبالكستناء، وكلّ الفطائر  
لاصقةً مطبّقةً لزقةً، تزيدك بدانةً واكتنازاً.

ما طيبك إلّا دابةً من الدّواب، أنا أزودك بيدي، بما أراه لك حسناً.

سأعود بين الفينة والفينة، كلّما عرّجت على المدينة.

أرغان : أفضالك غمرتني أيّها السيّد.

توانيت : وهذه الذراع، ويحك، كيف تحرص عليها دون الأخرى ؟

أرغان : كيف ؟!

توانيت :. لو آتي منك، لبرتها في الحال.

أرغان : لم ؟!

توانيت : ألا تجدها الأغذى ؟ يعني أنه تستقلُّ بغدائها لتحرمها منه !

أرغان : بلى، لكنني بحاجة إليها، ذراعي...

توانيت : وعينك، تلك اليمنى، أفقأها لو أُنِي منك.

أرغان : عينٌ تُفَقَأ !

توانيت : ألا تجدها هي الأغذى، عالةٌ على الأخرى ؟ حيث إنها تحرمها

غذاءها منها، ثِق بي، وجِدْ من يفقأها لك، في أقرب وقت، وسترى هكذا

بوضوح أكثر، بالحدقة اليسرى.

أرغان : على رسلك، لسنا في عجلة من أمرنا.

توانيت : إلى اللقاء، آسف لفراق هكذا خاطف، ورائي استشارةٌ عظيمة، تثبتاً

من أمرٍ امرئٌ توفِّي بالأمس.

أرغان : توفِّي بالأمس ؟!

توانيت : أجل، ترجيحاً الآن، لما كان ينبغي تلافيه قبل الآن لتحقيق الشفاء.

بالالماع اليه — الى اللقاء !

( تكون توانيت انصرفت دون أن يشمها الى الباب )

أرغان : لا يخفى عليك أن المرضى، لا يشيِّعون أحداً.

بيروالد : هوذا طبيب، ماهر لبيب.

أرغان : نعم لكنه متهورٌ حميس قليلاً.

بيروالد : كلُّ التَّطاسييين التَّطسُّ هكذا.

أرغان : ما بين بتر الواحدة، لتتعافى الذراع الأخرى. وسمل الواحدة لتتعافى

العين الأخرى، أفضلُ ألا تتعافى الأخرى بهذه الدفعات. تَبَّأ لها من عملية،

تخلِّفني أعورَ أكْثَع.

## المشهد الحادي عشر

توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت : جعلت جاريته، لا طاقة لي على الدغدغة كفانا دعابة.

أرغان : ما بك ؟

توانيت : هو طبيبك، ويتحمّس لي نبضي.

أرغان : يا له من شابٍ وثّاب ... وهو في التسعين !

بيرالد : ها الخصام يستحكم بينك وبين السيّد بورغون فدعني، يا أخي،

أفاتحك بنصيبٍ يتهياً لبنتٍ شقيقي، أسمح ؟

أرغان : لا يا شقيقي، إنّما نصيبها الدّير، لمعاندتها إيّاي، لقد اتّضح لي أنّ غراماً

يحاك، ويلوح، وهي حتى الآن لا تفطن الى ما كشفت من لقاءاتها السّرية.

بيرالد : حسناً، يا أخي، وهل الهوى المتفتق جريمة لا تغتفر ؟ وهل الأمور

الشريفة تُضيرك معقودة للزواج ؟

أرغان : مهما كان، فالأمر لا مفر منه، مصيرها راهبة، يا شقيقي.

بيرالد : ثمة خاطر تنوي مراعاة صاحبه ؟

أرغان : فهمت، إنّك تردّد القصّة، فزوجتي في حلقومك، غصّة.

بيرالد : أي نعم، أقولها بالفم المملآن، يا أخي، إنّها زوجتك، لا عناد الطّب

أعندُ منها ولا فخاخها المنصوبة ألد من تعافيك وانقيادك إليها، تنجرُّ صاغراً،

ورأسك غير مرفوع أمامها.

توانيت : إيّه سيّدي، دعك من الحديث عن المصونة فهي معصومة، لا كلام

عليها، المرأة المحبّة للرجل المحبّ ... هذا ممّا لا غبار عليه.

أرغان : سلها عن مداعباتٍ لا توفرها عني.

توانيت : هذا هو الصّحيح.

أرغان : سلها عن قلقها لمرضي.

توانيت : حقاً.

أرغان : سلها عما يحزّ في قلبها، لعناءٍ تحوطني منه.

توانيت : حقاً حقماً.

( الى بيرالد ) : أتسعى حقاً، الى التأكد من غرام السيّدة بالسيّد . ( الى أرغان ) :  
خلّه عليّ، سيّدي، أتركني أريه سذاجته حالاً وسريعاً، هو طريء العود بسيط  
النّيّة غشيم، دعني أمزّق عن عينيه كلّ غشاوةٍ وأفصح له كلّ جهالاته ...  
أرغان : وكيف ذلك ؟

توانيت : السيّدة قادمة، عمّا قريب، فتمدّد أنت بطولك، على المقعد وتماوت،  
فأنا عندما أنبئها بموتك، تشاهد مبلغ أساها.  
أرغان : هذا ما أودّه.

توانيت : أي نعم، إنّما لا تتمدّد في التّماوت فقد تقضي عليها القضاء المبرم.  
أرغان : دعيني أفعل.

توانيت ( الى بيرالد ) : وأنت توارّ من هنا الى الزّاوية.

أرغان : أما من خطر عليّ بالتّظاهر بالموت ؟

توانيت : لا خوف عليك أنت، إنّما تسطّح ههنا ( بصوت خافت ) يا لفرحتي،  
بتسفيه أخيك ومغالطته، ها هي السيّدة آتية، تماسك جيّداً.

## المشهد الثاني عشر

بالين، توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت ( مولولة ) أوّاه، ربّاه، وامصبيّته، واحسرتاه ! واعجباه !

بالين : ما بالك، يا توانيت، ما بالك تولولين !

توانيت : أوّاه، سيّدي.

بالين : ما الخطب ؟

توانيت : زوجك، توفّاه الله.

بالين : توفّي زوجي ؟

توانيت : واحسرتاه ! أجل، يا للمسكين ! كيف قضى نحبه !

بالين : حقّاً ؟

توانيت : حتماً، حقّاً. إنّما الحدث ما تفشّى بعد الى احد كنت هنا وحدي

ولا أزال حين أسلم الروح بين ذراعيّ، وها هو مُسَطَّحٌ على المقعد بطوله.  
بالين : « المجد في الأعالي » لقد انزاح حملٌ ثَقِيلٌ عن كاهلي ما أَشدَّ  
غباوتك في التفجّع على الوفاة، يا توانيت !

توانيت : وجدتني هُكذا الى البكاء ألزم، يا سيّدتني.  
بالين : هيا هيا لا تحترزي في مسألةٍ تافهةٍ كهذه ليس بفقدانه آيةُ خسارة،  
لعمري، ما المنفعة من رجلٍ جلوطٍ في قومه، قذري، مقرّ، شطّافٍ،  
غسّالٍ، بندواخله !

لا ينفكّ ساعلاً، ماعطاً، نافثاً أبداً ولشّر مزاجه هو ضجرٌ سمجّ. مرهقاً كل  
قومه، مرعباً كل خدمه وجواريه بشرّ تعبيراته !  
توانيت : هوذا مرثاة تأبين لا غبار عليها.

بالين : قومي لتنفيذ مآربي، ولك مني مكافأةٌ كبرى، إن أدّيت لي الخدمة  
التّصوحة، لحسن حظنا أن ما من أحدٍ يتنبّه بعد للحدث. نجمله الى سريره،  
ونكتم الوفاة ريثما أنجز فعلتي، ثمّة وثائق وثمّة أموال، سأضع يدي عليها  
فليس عدلاً أن أكون بذلت له شرح الشّباب وريعان الصبا دونما ثواب أو  
ربا ! الأحرى بنا أن نقشّ هذه المفاتيح، يا توانيت !  
أرغان ( ينهض فجأةً ) : مهلاً، وعلى رسيلك.  
بالين ( مرتعبة مبهوطة ) : أيّ.

أرغان : بخ، بخ، سيّدتني الزوجة، أهذه محبتك لي أنا !  
توانيت : بخ، المرحوم لم يمت بعد.

أرغان ( إلى بالين، وهي منصرفة ) : يطيب لي أن أعاين مآثركِ وأسمع مرثاتك  
البديعة فيّ، إنّ اللّيب من القراءة يفهم، وهذه ملاحظة للقارئ اللّيب، تجعلني  
فطناً في المستقبل وهي إشارة تردعني عن اقتراف أمورٍ شتّى.  
بيرالد ( خارجاً من مخبأه ) : حسناً يا أخي، الحظّ يحالفك هذه المرة.

توانيت : لعمري ما صدّقت عينيّ، مهلاً إلّي أسمع ببتك، عد الى سابق عهدك  
ولنرّ كيف هذه تتلقّى الوفاة. تجربةٌ لا بدّ منها ولا ضير فيها. وهكذا تطلع  
حضرتك على شعور العائلة الكريمة تجاهك وأنت مسطّح ميت.

## المشهد الثالث عشر

أنجليك، أرغان، توانيت، بيرالد

توانيت (مولولة) : العياذ بالسماء، أوّاه، يا لها من ضربةٍ قاصمةٍ يا له من نهار مشؤوم، أوّاه !  
أنجليك : ما دهاك، توانيت، ما الذي يبكّيك ؟  
توانيت : ما لك وأخبار الشؤم منّي، واحسرتاه !  
أنجليك : أوّاه ! ماذا !  
توانيت : أبوك، قضى نحبه.  
أنجليك : مات، توانيت، أبي ؟  
توانيت : أجل، هوذا الوالد، وقد مات حتف أنفه، منذ حين. بعد أن خارت قواه، هكذا، فجأةً.  
أنجليك : أعوذ بالسماء، من المصيبة، يا للفاجعة العاتية ! واحسرتاه ! أفقده، وما لي في الحياة سواه ! أبي ! وإمعاناً ليأسي أفقده وهو في ذروة غضبه عليّ، ماذا حل بي ! أنا التعيسة وأيّ تعزية لي بعد فداحة الخسارة !

## المشهد الرابع عشر

كليانت، أنجليك، توانيت، بيرالد

كليانت : ما بك أنجليك الفتّانة، ويَح عينيك ما تنديين ؟  
أنجليك : واحسرتاه ! أندب أعزّ من كلّ عزيز خسرت، وأبكي أئمن من كلّ ثمينٍ فقدت، إنّي أندب وفاة والدي.  
كليانت : أعوذ بالسماء من فاجعة صاعقة، واحسرتاه ! أيّ خطب هو هذا! بعد رجائي لتدخل عمّك عنده، جئتُه متذرّعاً بأي الاحترام وآيات الاستعطاف معللاً النفس بانعطاف قلبه عليّ ليسلمك اليّ، تحقيقاً للأمنية...  
أنجليك : إيّه كليانت، دعنا الآن من كلّ هذه الأقوال لنترك الزواج جانباً، من



بعد موت أبي، لم يعد العالم كله يملأ عيني، إنني أتخلّى عنه، إلى الأبد. نعم، يا أبي. إن كنت أبّيت الامتثال لأوامرك، بوّدي أقله الآن أن أمتثل لواحد منها وهكذا أعوّض عن حزن، أقرّ أنّي سبّته لك. هي كلمة واحدة منّي : « أن إرضَ عني يا أبي »، وها أنا أعانقك تبياناً لك عن صدق شعوري يخالجنني. أرغان ( ناهضاً ) : إلهي ، يا ابنتي ! أنجليك ( مرتبةً ) : أيّ.

أرغان : حتماً بنتي، بعض دمي، هلمّي لا تخافي. لستُ بميتٍ، لا عليك، وخفّفي عنك. فأني راضٍ عن طيب عريكتك، كل الرضى. أنجليك : يا للمفاجأة السارة يا والدي، ها إنّ السماء تعيدك إليّ تتويجاً لآمالي، تقبّلني إذن جاثيةً على قدميك لأستعطفك في هذا الشأن بالذات، إنّ لم تكن راضياً على هوى قلبي، ورفضت كليانت قريباً لي أرجو ألا ترغمني على الزواج من آخر غيره، هذا جلّ مبتغاي. من فضلك. كليانت ( جاثياً على ركبتيه ) : إله سيدي، تعطف علينا لرجاها وأمانّي ولا تلجم اندفاعاً متبادلاً بالهوى الفئتان بيننا.

بيرالد : أنطيف بعدُ تجرباً يا أخي ؟

توانيت : أتصمد، سيدي، بدون إحساس عارف أمام غرام جارف ؟ أرغان : ليعدّ نفسه نطاسياً، أوافق على عرسه، نعم، أعدّ نفسك طبيياً أعدك بآبنتي.

كليانت : بكل طيبة خاطر، إن صاهرتني طبيياً جعلت الطبّ ديني والصيدلة ديداني إذا شئت، فلا مانع لديّ، وبالعجب العجائب سأبرع أو أنال يد أنجليك الجميلة.

بيرالد : وخاطرة تجول بخاطري، لعلك يا أخي تعدّ نفسك بنفسك نطاسياً دون غيرك فستقلّ بذاتك وتستغني.

توانيت : ونعم الرأي، هي الطريقة المثلى للتّعجل في شفائك، فليس أفتك للمرض إلا التلبّس بدور الطّبيب شخصياً.

أرغان : لا أظنك يا شقيقي إلا ساخراً منّي أتراني في سنّ الدراسة والكتاب. بيرالد : آية دراسة وأيّ كتاب ! حسبك علم، فالعديد منهم دونك مهارةً.

أرغان : أين مَنّي لسان اللاتينية، وتصنيف العلل، وتنويع الدواء على الداء ؟  
بيرالد : كأحسن نظامي، بالطيلسان تدثّر وبالقلنسوة تعمّر، تنقذّ اليك كل  
المعارف وبعدها تبلغ شأواً من التنطّس على أمهر ما يرام.  
أرغان : ماذا ؟ أباطيلسان تدرك الأمراض ؟ ونطال من البحث المُراد ؟!  
بيرالد : في الخطاب من داخل جبة طبيب ومن تحت قلنسوته تصبح، لعمري،  
الحماقة بَصُراً، والحذقة علماً.  
توانيت : حسبك سيّدي، ما توفرت عليه، فلديك اللحية وهي تغنيك عن  
نصف طبيب.

كليانت : أنا على أتمّ الاستعداد رهن إشارتك منذ الآن.  
بيرالد : الآن، فليكن، فلنباشرنّ، بالقضية إذن.  
أرغان : وكيف نباشر بها ! الآن ؟  
بيرالد : أجل، الآن، وفي عقر دارك.  
أرغان : في عقر داري ؟  
بيرالد : أجل، هناك زمرة طبيّة من طبيّاتي ينوين الاحتفال، في صالتكم، دون  
أن تتكلّفوا حضرتكم بشيء.  
أرغان : وأنا ما عساي أقول، وبمّ أجيّب ؟  
بيرالد : أنت تقلّد الشرح إيماءً، وتقلّد الكتابة نبراً. أمضِ وتزيّ باللباس  
المناسب، ها إني مرسل الآن في طلبهنّ.  
أرغان ( منصرفاً ) : نحن وشأننا.

كليانت : ماذا تقصد، ومن أين لك « زمرة طبيّاتٍ صُويحات » ؟  
توانيت : ماذا تعني، بقولك هذا ؟  
بيرالد : قصدت بها فسحة، هذا المساء، نفسح بها عن أنفسنا، هناك  
الطبيّيات، بالرقص وبالموسيقى يزففن طبيهنّ، هازجات هازلات، فلم لا نشارك  
نحن هرجاً ومرجاً ويكون لأخي الشوط الأوّل بالهزل والتشخيص. فلا حرج  
عليه !

أنجليك : أراك، يا عمّاه، تعبت بالوالد، وتغالي.  
بيرالد : بيننا يا ابنة الأخ، أنا لا أعبت به ولا أغالي بل بالأحرى، أنزل عند باله

وبالي، وثمة لكلّ منّا دوره هزلاً بهزل، واحدٌ يفكّهُ الآخر، هكذا يكون  
الكرنفال ترفيهاً عن الجميع.  
كليانت (لأنجليك) : ما قولك ؟  
أنجليك : موافقة، فيا حبذا ! طالما العم زعيم حفلة الترفيه رفّعنا ورفعنا.